خمس مسرحيات أندلسية



يف : أنطونيـــو جـــالا

اهداءات ٢٠٠١

المهندس/ محمد عبد السلام العمرى

الإسكندرية

المشروع القومي للترجمة

خمس مسرحيات أندلسية

أنطونيو جالا

ترجمها وقدم لها

أبو همام

عبد اللطيف عبد الحليم

المجلس الأعلى للثقافة

١٩٩٨

هذه ترجمة كاملة:-

PAISA JES Y SIGURAS

تـــأليـــف:-

ANTONIO GALA

الإهـــداء

إلى صديقى وأستاذى :

الدكتور أحمد هيكل

أنشدك قول أبى بكر الدانى الأندلسى :

أراشوا جناحى ، ثم بلوه بالندى

فلم أستطع من حيهم طيرانا

أبو همّــام

مقدمة

ستظل الأندلس مسرحية مأساوية ، تثير قرائح الشعراء والكتاب من عرب وإسبان ، ومن أمم أخرى ، يلتقطون منها الأحداث الانفجارية — وما أكثر هذه الأحداث — فينسجون منها قصيدا ، ومسرحا ، وقصة ، ولوحة ، وتمثالا ، إلى غير ذلك من صنوف الفن وطرائقه .

وأنطونيوجالا — كاتب هذه المسرحيات — شاعر وكاتب مسرحى من قرطبة ، عاصمة الخلافة ، قبل أن يكون من إسبانيا ، ونعنى بذلك أنه قرطبى المزاج والشعور والفكر ، ومعارف الأعضاء ، ولعله كان يصف نفسه حين وصف ابن رشد ، فى مسرحيته المسماة باسم فيلسوفنا العظيم ، وحين وصف قرطبة وأهلها : «إن طقسك ومناظرك — قرطبة — يكادان يماثلان طقس اليونان ومناظرها أكثر مما يماثلان بابل — وهما يجعلان رجالك هادئين وأذكياء ، وقد لاحظت كذلك أن صوف الغنم الأندلسى أرق بكثير مما هو فى بلد آخر ، كذلك بنية رجالك أكثر توازنا كما يشهد بذلك لون سحنتهم وصفة شعرهم ، لون

الرجال الأندلسيين ليس فى سمرة أهل الجزيرة العربية ، ولا شعرهم له جعودة شعر الإفريقيين ، ولا هو سبط كشعر أمم الشمال ، بل هو متموج حريرى» .

هذا التكوين القرطبى الأندلسى عميق التأثير فى أنطونيوجالا وفى رصفائه من شعراء الأندلس وكُتَّابه وهذا الإقليم الجنوبى لا يزال - حتى الآن - أنجب الأقاليم الإسبانية شعراء وفنانين . مما دفع شاعرا كبيرا مثل رفاييل ألبرتى أن ينظم قصيدة عنوانها « الشعراء الأندلسيون » تباع ملحنة ومغناة على أشرطة التسجيل .

وشعراء الأندلس Andalucía ، حين يتغنون ببلادهم إنما يحنون إلى مجد قد أشاح ، وازدهار قد أدبر ، أيام كانت قرطبة عاصمة العالم تحت الحكم العربى ، وهى وغيرها الآن محافظة لأحد الأقاليم ، ويبدو أن الجنوبى هو الجنوبى فى كثير من بلاد العالم ، فالجنوب الأندلسى بعد زوال الحكم العربى أصبح كماً مهملا ، ينظر إليه - أيام محاكم التفتيش - نظرة الريبة والتوجس ، فإذا رأينا شاعرا جنوبيا يتغنى ببلده - وما أكثر الشعراء وما أكثر غناءهم - فإنه يحلم بالماضى المزهر ويتمرد على الإهمال الحاضر ،

ولعل فى غنائيات مانويل ما تشادو ورفاييل ألبرتى ، وبياسبيسا شاعر الحمراء وغيرهم ما يرشح لهذا الرأى .

ثم إن فى تاريخ الأندلس مواقف كثيرة تحتاج إلى من ينفث فيها حياة الفن والشعر ، والعبرة – فى النهاية – بالشاعر الحق القادر على استلهام تلك المواقف .

والتقاط النقاط الدرامية بالنسبة لكاتب المسرح شىء شديد الوعورة والأهمية ؛ لأن عدسته تتجاوز التاريخ الميت إلى الفن الحى ، دون اعتساف ولا تحميل للأشياء غير ما تحتمله طبيعتها ، ودون أن يطمس التعصب المقيت – كما هو الحال لدى بعض الشعراء الإسبان – ما هو باق وإنسانى بعيدا عن العرق والجنس .

إن للكاتب رسالة إنسانية اقتضته الحياة القيام بها ، وتلك جزء من الأمانة التى حملها الإنسان ، ولن تكتمل هاته الرسالة إلا باكتمال أدواتها ، أى أدوات الفنان الكاتب ، ولن يصلح الموضوع – مهما شرف – أن يخلق كاتبا إذا قصرت به أدواته ، مهما أسقط ، ومهما تذرع إليه بجاه الشهرة ، ؛ لأنها شهرة عوراء تسىء إلى صاحبها وإلى موضوعه .

كثير من الكتاب العرب حين عالجوا موضوعات أندلسية للمسرح ، لم يحالفهم التوفيق ، برغم تزاحم النظارة على مشاهدة مسرحياتهم ؛ لأن بناء الموضوع مفتعل أحيانا ، ولأن المعالجة غير مقنعة أحيانا أخرى ، ولأن العجز التعبيرى يصيب الفن الشعرى – وهو صعب وطويل سلمه – بالكساح وفقر الدم ، فلا ترى فى النهاية إلا مخلوقاً مخدجاً ، شائه الملامح والشيات لكن هذا لا يعنى أن كتاب العرب مخفقون مسرحيا ، فمنهم من تجاوز كل هذه الآفات ، أو جلها – فغدا لهم مسرح شعرى عن الأندلس يحظى بالتقدير والتعاطف .

بيد أن الآفة عندنا تقابلها آفة أخرى لدى كتاب المسرح الإسبان حين يعالجون الأندلس العربية ، وقد ألمحنا إليها قبل ذلك ، ونعنى بها التعصب الذميم ، وتصوير العرب على غير حقيقتهم ، وهم – لو دروا – خلف لذلك السلف العربى أو الأندلسى إن شئت الدقة . من أبرز كتاب المسرح الإسبانى فيما يتصل بالأندلس : خوسيه أورروثكو ، فى مسرحيته السلطانه عائشة ، وفرانسيسكو بياسبيسا ، فى مسرحيته المعتمد بن عباد ، وابن أمية ، وأنطونيو جالا فى مسرحياته التى نقدم لها بهذه السطور ، ومسرحيته

« خاتمان من أجل سيدة » وقد ترجمناها ونشرت في الكويت ١٩٨٤ ، وفي القاهرة ١٩٩٤ .

وصاحبنا « جالا » في كل كتاباته تقريبا يتنفس عبق التاريخ الأندلسي ، ولا تكاد تحس لديه ما يسمم هذا العبق من تعصب وهوى ذميم ، وإن عابه بعض المتنطسين أنه يختار بعض اللحظات الحرجة التي تصم ما هو عربي ، أو بتعبير آخر يقع على لحظات الضعف والانهيار العربي ، ولعل التكثيف الدرامي يقتضي اختيار مثل هذه اللحظات ، ولا تثريب على صاحبنا ولا على غيره من ذلك الاختيار ، لأنه اختيار فني لا سياسي ولا عرقي ، ثم ما الخشية من نقد التاريخ بوسائل فنية ؟ إن الرجل يناصر قضية « الحرية » في مسرحه ، نحس بذلك في مسرحيته عن « ابن رشد » كأنه يدافع عن نفسه ، وعن قيمة الفكر ، والإنسان المفكر ضد الديماجوجية والسلطة المطلقة ، والهوج الذميم ، وضيق الأفق باسم الدين ، وباسم السياسة ، وباسم أي شيء كان ، ويذم الوسائل غير المشروعة التي امتطاها المنصور بن أبي عامر للوصول إلى السلطة في مسرحيته التي تحمل هذا العنوان « المنصور » ، ونلمح « العاطفية » الشديدة ورقته الفائقة في حديثه عن الزهراء حديث العاطف الراثي لها ،

وتقف على نظرته الفاحصة فى نقد التاريخ ورجاله فى مسرحيته : قصر أشبيليه وقصر الحمراء .

إن التاريخ لدى أنطونيوجالا فى هذه المسرحيات شاخص حى « أكثر من شخوصه وحياته فى مسرحياته الأخرى ، وكأنى به – وهو يكتب هذه الموضوعات – إنما كان يعتمد على التاريخ اعتمادا كاملا ، ونقصد هنا بالتاريخ معناه الاصطلاحى وغير الاصطلاحى ، أى أنه يتمثل ثقافة تلك الفترة تمثلا كاملا ، ويسقط عليها إسقاطات معاصرة ؛ لأن الإنسان هو الإنسان فى كل مكان وزمان .

المسرحيات ذوات الفصل الواحد قريبة من فن الشعر أو فن القصة القصيرة . فى حاجة شديدة إلى التكثيف الدرامى أو ما أسميناه بالانفجارية ، وقد استطاع جالا أن يقتنص هذه اللحظات المكثفة من غابة التاريخ ، لكنه الاقتناص الذى يذكرك بأصلها الشارد ، ونعنى بذلك أن العقدة فى هذه المسرحيات أو فى بعضها – بتعبير أدق – فيها شىء من « الحل » ضد « العقد » مما يجعل المسرحية هنا قريبة أو شبيهة بـ« المقال المسرحى » إن صح هذا التعبير ،

أو « مسرحية المقال » والمقال هنا « فنى » بطبيعة الحال ، نستثنى من ذلك الحكم النقدى حديثه عن « ابن رشد » ففيه العقدة مبرمة ومكثفة ، أما الأخريات ففيها تفاوت ، ولعل مرد ذلك يئول إلى أن جالا شاعر غنائى قبل أن يكون دراميا ، فغلب غناؤه الشعرى عليه ، وإن كانت المسرحيات هنا نثرا ، وقدنظم هذه الموضوعات أو بعضها شعرا غنائيا ، مثله فى ذلك مثل بنى جلدته من الشعراء الإسبان قديما وحديثا .

ليست موضوعات أنطونيوجالا هنا عربية بعناوينها فحسب ، بل إن تناوله يكاد يكون عربى الملامح والشيات ، نلمح هذا فى إنصافه للتاريخ العربى إنصافا يحمد له إنسانيا وفنيا ، ونلمحه كذلك فى تأثره الجيد بالتراث العربى تاريخا وأدبا ، إلى حد نقل أبيات من قصيدة أبى البقاء الرندى النونية المشهورة التى يرثى بها بعض الممالك الأندلسية – وقد ترجمت للإسبانية عن الألمانية ، ترجمها أولا إلى الألمانية فون شاك ، ونقلها عنه خوان باليرا فى وزن قصيدة خورخى مانريكى في رثاء والده « دون رودريجو » ، وقارن بين القصيدتين ، ويتمثل كذلك فى أخذ جالا آيات من القرآن الكريم – وله أكثر من ترجمة إلى الإسبانية – وفى

أخـذه كـذلك أبيـاتا من زجل ابن قـزمـان - ترجـمـه إلى الإسبانيـة غرثيه غومث وفيديريكو كورنيطى - لكن جالا بجانب هذا الاقتباس الواضح ، كـان ينشر بعض الأبيـات العربيـة إلى الإسبانيـة دون أن يلمح إلى ذلك ، وقـد وقـفنا على بعض هذه الأبيات ، يقول أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان :

لا تلحنى إن غدوت ذا طرب

لما ثنـانى للأنـس غريـد

طورًا جليد ، وتارة طرب

كالعود منه الزوراء والعود

ترجم لهـذا الشاعر ابن سـعيد فى المغرب جـ ١ - ص ١١٠

تحقيق شوقى ضيف ، وترجم له ابن سـعيـد أيضا فى رايات المبرزين ، نشر غرثيه غومث ، وترجمه إلى الإسبانية . وانطونيو جالا - بلا ريب - أخذ هـذا المعنى ونثره فى كلامه عن ابن رشد . وفى مسرحيته عن الزهراء حديثه الذى أنشأه بينها وبين عبد الرحمن الناصر ، يناجى كلاهما الآخر ، مأخوذ من بعض أبيات « ابن بقى » حيث يقول :

عاطيته ، والليل يسحب ذيله

صهباء ، كالمسك الفتيق لناشق

وضممته ضم الكمى لسيفه

وذؤابتاه حمائل فى عاتقى

حتى إذا مالت به سنة الكرى

زحزحته عنى ، وكان معانقى

باعدته عن أضلع تشتاقه

كى لا ينام على وساد خافق

ولهذه الأبيات سيرورة فى الأندلس ، عارضها كثيرون ما بين مؤيد لهذا المعنى ، وما بين مناقض له ، أبرز الفريق الثانى الذى يقول :

ونم هنيئا بخفق قلبى كالطفل فى نهنه المهاد .

والحديث عن ابن بقى فى رايات المبرزين ص ٧٩ ، تحقيق النعمان القاضى ، وترجمها غومث كما قلنا آنفا ، وقرأها جالا وغيره بلا ريب .

تأثر جالا بالثقافة العربية شعرا ونثرا ، وتاريخا وفقها ، لا مرية فيه ، وهو كثير ، ربما تخرج هذه الكلمة عن إطارها لو اقتفيناه ، وفى حاجة إلى فضل بيان – قمنا ببعضه فى أماكن أخر .

ومعلوم أن ترجمات المستشرقين – وبخاصة ترجمات غومث – إلى الإسبانية صادفت إقبالا كبيرا من جانب الشعراء والأدباء الإسبان ، ربما للجو الرومانسى الذى ساد إسبانيا فى أواخر القرن الماضى وما يزال حتى الآن ، وإن اختلف تناول الشعراء ، لكن الرومانسية غالبة ، كذلك مهما كان هذا الاختلاف ، فالحنين إلى الماضى لا يفتأ يساور نفوسا كثيرة ، ولا مثلبة فى ذلك لأن المحك هو صدق التجربة وبراعة الأداء .

هذه المسرحيات مثلت كلها فى التليفزيون الإسبانى ولقيت رواجا كبيرا من عامة النظارة ، شاهدت بعضها وأنا فى إسبانيا طالب بعثة ، ولمست صنيعها فى نفوس الناس وعجبت ، وكان مؤلفها يخشى – كما حدثنى – أن تجابه بالإشاحة والإعراض ، نشر منها « ابن رشد » فقط فى مجلة :

Nueva Estafeta

وأهدانى الأربع الأخر – على الآلة الكاتبة – حين عرف أننى أزمع ترجمتها إلى لغة قومى .

وجالا نموذج للأديب الذى يعيش من قلمه – فى أوربا –

لا فى الوطن العربى – وويل لمن تدركه فيه حرفة الأدب – فهو يعيش من دخل كتبه . ويكفى أن يعلم القارئ أنه طبع من مسرحيته « خاتمان من أجل سيدة » مليون نسخة ، وعرضت فى إسبانيا وأمريكا اللاتينية أكثر من « ألف ليلة » ، وكذلك كثير من كتبه ، وقد انتخب رئيساً لجمعية الصداقة العربية الإسبانية ، ترجمت معظم كتبه إلى لغات كثيرة ، لكنه سعد بترجمته إلى العربية أكثر من سعادته بترجماته الأخرى ، ولعل سعادته هذه أعدتنى فسعدت بتقديمه إلى القارئ العربى قبل ذلك ، وتتضاعف هذه السعادة لأننى أقدمه تقديم الصديق إلى القراء الأصدقاء .

أبو همّام

المعادى فى ٢٨ من يوليو ١٩٨٦ م .

ابن رشد

(قرطبة من علٍ ؛ المدينة ، الشرقية ، المنازل البيضاء ، الأسقف الملكية ، إلخ ، عند النزول نرى ابن رشد ، وهو فى السابعة والستين من عمره يعبر من عدة أماكن مختلفة وهامة مع أناس عاديين من العصر الحاضر ومنذ اللحظة الأولى نستمع إليه) .

ابن رشد : يقولون عنكِ إنك لستِ سوى نفاية منك أنت ، يقولون عنك إنك لستَ سوى ظل لما كنته بالأمس . يقولون عنك ياقرطبة ، إنك عندما كنت عاصمة العالم وصلت إلى درجة بالغة من الجمال ، ما أعسر أن يعتقد المرء ذلك حين لا توجد اليوم – وأنت محافظة لأحد الأقاليم – أية مدينة تتفوق عليك ، فيك راق الجمال ، وفيك بلغ الناس – فى سخاء – غاية جهدهم ، فماء نهرك متسربا بين شعاب الجبل والقرى عكس بالأمس مدى ثرائك ، ويعكس اليوم مدى سكونك ، إن طقسك ومناظرك يكادان يماثلان طقس اليونان ومناظرها أكثر مما يماثلان بابل ، وهما يجعلان رجالك هادئين وأذكياء ، وقد لاحظت كذلك أن صوف الغنم الأندلسى أرق بكثير مما هو فى بلد آخر ، كذلك بنية رجالك أكثر توازنا كما يشهد بهذا لون سحنتهم ، وصفة شعرهم . لون الرجال الأندلسيين ليس فى سمرة أهل الجزيرة

العربية ، ولا شعرهم له جعودة شعر الأفريقيين ولا هو سبط كشعر أمم الشمال بل هو متموج حريرى ، إننى أحب كل الأندلس من خلال اسمك ياقرطبة ، عندما أكون بعيدا عنك كل شيء يبدو لى غريبا حتى أنا نفسى أبدو غريبا ، لقد صنتك دائما فى سويداء قلبى كلؤلؤ مكنون فيك أود أن ألفظ آخر أنفاسى ، وأن يتحلل جسدى ويشكل جزءا من ثراك (يعبر بابا صغيرا) لأنى هنا - خلال سنوات كثيرة - خرجت من الشرقية لأعود مرضاى ، فإن القرطبيين من الأمير إلى الخفير أودعوا صحتهم في يدىّ ، يقولون إن المرء إذا نشد لبن العصفور يجده فى إشبيلية وفيك ياقرطبة من الذى يتجاسر على نشدان لبن العصفور ؟ حسب المرء أن يتنفسك شاعرا بيدك المعطرة على خده ، وبأنفاسك الدافئة على جيده ، كتب الشقندى أن أهل إشبيلية قوم ذوو خفة وظرف ، ولوذعية وسرعة بديهة ، ويضيف أن الإشبيليين على ضفاف نهر الوادى الكبير ، يعزفون على الربابة والقانون ، والقيثارة ، والناى ، والبوق ، بينما يمزحون ، ويتماجنون مع النبيذ ، أشبيلية اليوم هى عاصمة الأندلس ، إننى أحبها لأننى أحبك أنت ، فإنها بمثابة أختك ، ومع ذلك لا أدرى لماذا ؟ بيد أنه حين يموت عالم فى

إشبيلية يحملون مكتبته لبيعها فى قرطبة ، وحين يموت مغن أو موسيقى فى قرطبة فإنهم يحملون آلاته لبيعها فى أشبيلية (أمام أحد الأعمدة فى بهو البرتقال) مستندا إلى هذا العمود طالما ألقيت دروسى ، قليل هم أولئك الفتية القرطبيون الذين لم يأخذوا منى أكثر مما أخذوا من آبائهم . أفضل هذا السكون ، أفضل هاته النظرات ، أفضل أن تبقى الأشياء فى مكانها هادئة حيث أقامتها القرون . يقولون عنى إننى رجل أتجاوز الحدود فى صرامتى ، لأننى لم أصنع شيئا غير المدارسة فى الواقع أذكر أننى نسيت الكتب ليلتين فقط : أولاهما ليلة موت أبى ، وثانيتهما ليلة عرسى ، يقولون عنى إننى رجل صارم ، إننى لا أرانى هكذا أعتقد أننى فى آن واحد رجل صارم ومرح ، مثل الخشب الذى فى وسعك أن تصنع منه قوسا للحرب ، وأن تصنع منه عودا ، إنك هكذا أيضا ياقرطبة لذا عندما ذهبت إلى ماوريتانيا أو إلى أشبيلية كنت أشتاق إليك كثيرا لأن المرء يفكر جيدا ، ويعمل أفضل حين يتنفس الهواء الذى ولد فيه ، إننى أشفق على الأندلسيين المنفيين ، ربما لا يذبل رجل آخر مثلما يذبل الأندلسى حين يقصى عن سمائه ، عن كسله ، عن عطره ، عن طربه ، عن شعوره الصحيح بالحياة والموت .

(أمام باب المسجد) لقد مررت بهذا القوس مرات لا تحصى لأؤم المسلمين فى صلاة الجمعة باعتبارى قاضى القضاة (نرى ضوءا بين غابة الأعمدة الداخلية) وهنا فى طريقى اليوم ليحكم عليّ أنا الذى مارست القضاء أكثر من ربع قرن ، وفصلت فى كل أمور هذه المدينة مدينتى ، وحتى الآن كانت أحكام قضاة قرطبة الآخرين فى قبضتى : محتسب السوق ، وكيل المواريث ، والقائم بأمور المعايير والأثمان ، صاحب المدينة ، صاحب ديوان المظالم ، هنالك جالسا فوق حشيتى أفصل بالعدل والقسطاس المستقيم ، فليجعل الله المقياس الذى يحكم عليّ به اليوم من نفس المقياس الذى كنت أحكم به ، وإن كان يبدو لى أنه مجلس أكثر من العدد اللازم ، لم تتعود العدالة أن تبنى عشها وسط الزحام (ضجة أصوات ، تهتف كلها تقريبا بلا نظام « النظام ، النظام » يختفى ابن رشد فى ظلال الأعمدة) .

صوت ا : القضية الأولى هى عدم نقاء دم ابن رشد ، فهل لنا أن نعرف إلى أى قبيلة يُعزى ؟ من الذى يؤكد لنا أنه ليس من أصل يهودى ؟

(همس دائم ، وجلبة مستمرة)

الأصولى : منذ تسعين سنة كان ابن رشد – جد هذا – قاضيا لقرطبة ، ومنذ ستين سنة كان أبو هذا قاضيا كذلك ، من نحن حتى نحكم على سلالة قضاة ؟

صوت ٢ : (فى هياج) هاهنا نحن قادة العسكر فى قرطبة .

صوت ٣ : وفقهاء قرطبة

صوت ٤ : وقضاة قرطبة

صوت ٣ : لقد اجتمعنا هنا بأمر الأمير لنفحص مؤلفاته ، ونقرر الأمر بشأن هرطقته .

الأصولى : وعن صحة عقيدته لا ؟

صوت ٥ : حذار يا إبراهيم الأصولى ، لا تهو معه بسبب دفاعك عنه .

صوت ١ : إننى أتساءل لماذا يسميه النصارى ابن رويث ؟ أليس « رويث » هذا لقبا نصرانيا ؟

الأصولى : وليس نصرانيا لقب مردنيش ؟ والملك لب المرسى لُبّ بن مردنيش ، ألم يكن لوبى بن مردنيش ؟

صوت ٤ : لقد كان الملك لب أشد الخصوم عنادا لملوكنا الموحدين .

الأصولى : بيد أن ملكينا أبا يعقوب وأبا يوسف تزوجا ابنتيه برغم ذلك فلا نخلط إذن بين صحة العقيدة وبين البيولوجيا ولا بين الشفقة وبين نقاء الدم ، إننا هنا فى قرطبة حيث تربع التسامح قرونا طويلة فلا نهدمه اليوم .

(وجه ابن رشد بين صخب المجلس)

صوت ابن رشد : التسامح . . ألم يبدأ اليوم فى التخلى عن عرشه (على أبواب الكنيس) كان ميمون صبيا - تقريبا ، عندما قابلته ذلك الصباح ومع ذلك لم يكن صباحا جليا ، ولدى أبواب الكنيس ، كان الدمع يجول فى عينيه أومأ إلىّ أن أدخل .

صوت ميمون : أستاذ ابن رشد . . .

ابن رشد : (وهو فى الخامسة والعشرين) لا تنادنى بلقب أستاذ .

صوت ميمون : كانت آخر مرة وطأت فيها أرض الكنيس يا ابن رشد .

لقد أجبرنا الموحدون على الإسلام . وتحول المرء عن عقيدته بسبب الخوف من الموت لن يكون على الإطلاق

تحولا صحيحا ، وقد أعلنوا كراهية اليهود ومنعوكم – أنتم المسلمين – من خدمتنا والتعامل معنا ، وحرمونا من التجارة معكم ، وذبح الحيوانات من أجلكم ، فلا يؤذن لنا بارتداء زى شريف ، ولا يدعونكم تلقون بالسلام إلينا ، وحظروا علينا شراء الكتب العلمية ، حتى ممارسة الطب المفيدة ، وبعد قليل يا ابن رشد سيحرمون علينا التفكير ، ويمنعوننا أن نكون رجالا يا ابن رشد ، سأمضى عن قرطبة .

ابن رشد : صبرا ياميمون ، إنك مازلت فتى ، والأمور تتبدل .

صوت ميمون : نعم ، تتبدل إلى أسوأ ، سأمضى عن قرطبة ، ليس لى إلا حياة واحدة ، كنت أود أن أودعك ، وأوصيك باحترام الرأى الآخر . والمعاشرة السلمية ، وتبادل الحوار ، والتفريق بين العدو وبين المخالف فى الرأى ، لأن هنالك تكمن أصالة أى علم ، وأى دين مهما كان ، وداعا ياابن رشد ، حافظ على قرطبة « واحترس من قرطبة » (مازال أثر الضجة فى المسجد على وجه ابن رشد) .

صوت ٦ : لماذا لم تشرح لنا يا أصولى صداقته

الحميمة بالأمير أبى يحيى شقيق السلطان ؟ ألم تكن تلك الصداقة مؤامرة ؟

الأصولى : ألم يكن ابن رشد أيضا صديقا حميما لأبى يعقوب ؟ أليس اليوم صديقا حميما أيضا لابنه ؟ ألا يدعوه أبو يوسف – حفظه الله – أخاه ؟

صوت ٦ : إن التقرب من الملوك ذو عاقبة وخيمة دائما ، والخيانة تتسلق هوى الحكام المفرط كما يتسلق اللبلاب جذع الشجرة » .

صوت ٥ : إن سوء استعمال الثقة يستلزم ثقة سابقة .

صوت ابن رشد : (يسلط ضوء على وجهه) كنت قد أتممت أربعين سنة حين عين « أبو يعقوب » « ابن طفيل » طبيبه الخاص ، وعينه وزيرا ، وكان يعيش فى قصره وقد واعدنى ذات أصيل هناك ، وقدمنى للسلطان وكنت شديد الارتباك . . .

(قاعة القصر ، وابن رشد فى الأربعين من عمره) .

صوت السلطان : حدثنى ابن طفيل عنك بدون

كلل ، ملحاً على أن لديك نظريات عجيبة ، ولا تتسق دائما والسنن المرعية ، ماذا ترى مثلا فى خلق العالم ؟ أهو قديم أو محدث ؟ (تبدو حيرة على ابن رشد)

إن ابن سينا يعتبر مسألة الوجود بمثابة عرض للجوهر [يتحدث عن خلق واجب لكائنات عرضية] وفلاسفة الإغريق لا يرونه هكذا : لأن العرضية تنافى الوجوب .

ابن رشد : (متحمسا) وأنا أيضا لا أرى هذا يا سيدى . فإن الله خلق العالم منذ الأزل ؛ لأن الإرادة الإلهية لا يمكن أن تحركها علة خارجة عن الذات ، كان العالم دائما ممكنا ، ومخلوقا على الدوام ، ومسألة الخلق – كما أرى – أمر واجب ، وإن كانت المخلوقات شيئا عرضيا .

صوت السلطان : إن أرسطو غامض . ليتك تشرح كتبه وتعلق عليها لتنجلى لنا .

صوت ابن طفيل : سيدى ليس ثمة رجل أكثر استعدادا لهذا من ابن رشد ولهذا أصررت على إحضاره إليك .

صوت السلطان : لوصنعته يا ابن رشد فسوف

تذكر لك البشرية جمعاء هذه اليد ، إننى اليوم أكتفى برجائك إياه .

ابن رشد : لست كفؤا لهذا ياسيدى ، ولست أعرف اليونانية ، ومؤلفات أرسطو كثيرة جدا ، وجهودى ضئيلة جدا .

صوت السلطان : حاول هذا ياابن رشد . (بينما ابن رشد يقبل الأرض بين يديه) حاوله يا ابن رشد .

(فى المسجد مرة أخرى)

صوت ٤ : فى رسالة وجهها إلى أمير المسلمين لقبه « بأمير البربر » دون أن يستخدم أى لقب من ألقاب التوقير .

الأصولى : (ثائرا) ، هذا شىء قد مضى ، وقد اتضح الأمر ، قد اتضح ، وفهم أبو يوسف شرحه ، كان خطأ من الناسخ ، الذى التبست عليه علامات الترقيم ، كتب ابن رشد « ملك البرين » أيتخذ الأمير طبيبه الخاص رجلا لا يوقره ؟ .

صوت ٨ : ولماذا أمر إذن أن نحاكمه ؟

الأصولى : ليست محاكمته التى علينا أن نقوم بها ، بل أن نرى رأيا ، وبدون صخب .

صوت ٣ : فى إحدى رسائله اعتبر النجوم آلهة ، وذكر اسم الإلهة فينوس .

الأصولي : كان اقتباسا يونانيا ، لقد سرق بعضهم من مكتبته ورقة مفردة ، وعرضها على السلطان ، كفى ! كفى ! إنكم تتبرعون باتهامات كاذبة ، ومنسية ، ودسائس ندامى سفيهة ، وبأحقاد وخلافات .

ابن رشد فوق كل هذه الترهات ، (ضجة ضخمة ، يتقدم ابن رشد إلى وسط الضجة) .

ابن رشد : اهدأو ، اهدأوا ، شكراً لك أيها القاضى إبراهيم الأصولى ، شكرا ياصديقى ، بيد أنى أرجوك ألا تؤدى شهادة طيبة فى حقى أكثر مما صنعت ؛ حسبك أن يتهم أحدنا (يتوجه إلى من حوله) حضرات العلماء ، والقادة ، والفقهاء ، إنكم مجتمعون فى هذا المجلس لتقييم مؤلفاتى ، وإنها لمعقدة ، وغزيرة حتى أننى لا أذكرها لقد كتبت حول كل شىء تقريبا ، تحدثت عن ما هو إنسانى ، وعن ما هو إلهى ، وبدون ريب وقعت فى أخطاء علمية ، بيد أنى أؤكد لكم أن نيتى كانت دائما أن أعول على ما

جاء فى القرآن الكريم وما جاء فى تفاسيره الصحاح ، إنكم أنتم أهلى ، كنت طبيبكم ، وطبيب أولادكم ونسائكم ، لقد حيا بعضنا بعضا فى شوارع قرطبة ، وتعارفنا ، وصلينا معا ، وتسامرنا معا أحيانا فى هدوء فى منازلكم أو فى منزلى حول آلاف الأمور الهامة ، وتبادلنا الآراء والنظرات ، وكنت قاضى قضاتكم ، ودافعت عنكم فى المجلس الملكى ، مهتما بأمور طلاقكم ، وشهاداتكم ، ومواريثكم وتكفلت بأموال الغائبين ، واليتامى ، والقاصرين ، وطلبت منكم أحيانا مشورة فى مجالسى ، وكنتم شهودا على أحكامى وعلى نزاهتى ، وبجانبى هنا توجد وثائق أحكامى ، لم أصنع فى حياتى أكثر من المدارسة ، والتأمل ، ومساعدة الذين حولى ، لهذا أقف بينكم هنا بلا خشية ، إننى أومن بالإنسان ، وأثق فيكم ، لأنكم تعرفوننى ، إنكم فقهاء وطنى ، وقضاته ، وقادته .

صوت ٣ : (بعد لحظة صمت خفيفة) إنك تحدثت عن القرآن وتفسيراته ، وتؤكد أن الدين له نواح مختلفة حسب الرجال واستعداداتهم ، وضح ذلك .

ابن رشد : أفهم أن ثمة ثلاث طبقات من الرجال ،

كل طبقة يناسبها ضرب من الأدلة . فالعامى يركن إلى إيمان بدون أدلة ، أو بأدلة خطابية ، والفقهاء أهل اقتناع يستخدمون الفكر الجدلى ، وحججا احتمالية ، والفلاسفة أصحاب براهين ، مثلهم الأعلى هو العلم ، يشترطون أدلة لازمة إلى أقصى حد .

صوت ٣ : انظروا ، إنه يضع الفلاسفة فوقنا ، نحن الفقهاء ! زندقة !

صوت ٩ : فى إحدى المناسبات التقيتُ بالصوفى ابن عربى ، وقد اعترف لك بأن « الحب هو دينى » ، وأنت أجبته : بأن « العلم هو خير الأديان » .

ابن رشد : فى ذلك اليوم شكرت الله كثيرا ، لأننى وقد انكببت على التأمل والمراجعة ، والمباحث العقلية تفردت برؤية رجل - بعينىّ هاتين - دون مدارسة ، ومطالعة وبدون تدريب - ولج جاهلا إلى عزلته الروحية ، وخرج منها وقد أصابته العدوى الإلهية .

صوت ٧ : هذا تعبير زندقة .

ابن رشد : أتخلى عن هذا التعبير : إنه مجرد استعارة

صوت ١٠ : ألا تؤمن بالوحى ؟

ابن رشد : أومن بأن الله يعلم البشر عن طريق الوحى ، ما لايستطيع العقل أن يصل إليه ، بيد أن هذه الحقائق العليا التى يحتاج إليها المرء ليعيش نوعان : حقائق مجهولة على الإطلاق أى أن إدراكها ليس فى طبيعة العقل ، وحقائق مجهولة لطائفة من الناس ليس لديها استعداد كبير ، وفى رأيى أنه يجب على الإنسان أن يحاول – فى إصرار – أن يفهم أسرار الدين .

أصوات متعددة : زندقة ، فسوق !!

صوت ٦ : كيف يكلم الله البشر ؟

ابن رشد : بثلاث طرق كما جاء فى القرآن ، بالوحى ، أومن وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، وفضلا عن هذا الوحى الذى لا يدرك بالعقل ، فثمة طريقة أخرى للحقائق الطبيعية فى ذرع الجهد الإنسانى المثقف أن يحصلها ، وليس ثمة ما يدعو إلى تعارض العقل والنقل .

أصوات متعددة : زندقة ، زندقة !!

ابن رشد : (يجهر بصوته كى يسمع) إن المؤمن له الحق

- بل إنه واجب عليه - أن يتفكر فى دينه .

أصوات متعددة : فسوق!!

ابن رشد : إن الفكر الفلسفى لا يقودنا إلى نتائج تعارض النقل ، لأن الحقيقة لا تناقض الحقيقة إلا إذا تدخلت عوامل منحرفة مثل التعليم الغلط ، والجهل ، والهوى ، والتحيز . .

أصوات متعددة : إنه يهيننا ، إنه يحمل علينا !!

صوت ١٠ : (محاولا أن يكظم سخطه) وماذا عن أفكاره المتمردة فيما يتعلق بالنساء ؟

ابن رشد : ليست متمردة . لقد كتبت فحسب عن مساواة الرجل بالمرأة فى بساطة وأكدت أننا نجهل مهارات المرأة ، لأنها لم تستخدم إلا فى الإنجاب ، وبسبب أننا لا نعدهن لأى نشاط إنسانى ، فقد صرن يشبهن النبات . وأجد أسباب فقر بلادنا هو عدم أهلية وكسل النساء اللائى أراد لهن الرجال هذا ، فإذا كنّ ضعفنا فى العدد فكيف لا نعتنى بهن ؟

كيف ندعهن ، ولا نسمح لهن فى ظروف نادرة بسوى الغزل والنسج ؟

إننى أعجب بالمرأة وأحترمها .

صوت ٥ : ويقول إن أفكاره ليست متمردة !

صوت ٩ : قد قررت أنه لا يوجد طغيان أشد من طغيان العلماء أو الفقهاء .

صوت ٣ : وأن الجيش هو حارس الشعب وليس صاحبه .

ابن رشد : إن هذه الجمل تفهم فى سياقها الذى وردت فيه ، إننى فيلسوف يخيل لى أن التَّزمُّت فى الدين خطأ ، وأنا رجل أندلسى . . .

صوت ٣ : (مقاطعا) إنه يجاهر بالقومية الأندلسية إزاء دولة الموحدين .

ابن رشد : إننى لا أجاهر بشيء . أقول فقط إن للأندلس تقاليد راسخة من الحضارة والمعرفة ، ليس من الممكن أن تُحكم كما تحكم أقاليم أخرى لا تضاهيها فى شخصيتها ، إن الأندلس دائما احتلت محتليها .

أصوات متعددة : ماذا تريدون أن تسمعوا أكثر من هذا ، هيا بنا إلى السلطان .

صوت ٦ : المثقفون فرديون ، ومناهضون للحكومة . .

ابن رشد : ليس الأمر هكذا ، أظن فقط أن السلوك الاجتماعى للإنسان لابد أن يخالف سلوكه الفردى . ففى الوسط الجماعى ما تزال ممارسة الفضائل أكثر حدة ودقة منهج ، بالطبع ليست الدولة فى حد ذاتها شيئا ، إنها جهاز تربوى ، من الضرورى أن يكون له هدف لجعل الإنسان أفضل ، عندما كنت قاضيا فى ماوريتانيا أغرقتها بالمدارس ، وما كان للدولة هدف إلا هدف أفرادها ، هكذا يكون الخير العام : تحقيق السعادة للمواطنين من خلال رعاية القانون . والخلاف بين المثقفين والحكام يكمن فى أن الفريق الأول يتأملون الفضائل المجردة ، وأن الفريق الثانى عملى يحاولون تطبيقها ، إن السياسى يحقق معجزة حقيقية :

إذا حصل على أن يؤدى الناس – وهم أحرار – ما ينبغى عليهم أداؤه داخل النظام العالمى . يتطلع الفيلسوف إلى هذا الصراع من بعيد ، لأن ثمة أيضا فى هذا الصدد ثلاثة أصناف من الناس :

الماديون الذين يبحثون عن اللذة والمتعة ، والشجعان الذين يسعون إلى المجد والشهرة ، والعلماء الذين ينشدون العلم ، والصنف الأخير فحسب هو المؤهل حقيقة لقيادة الآخرين .
(ضجة بالغة)

صوت ١٠ : فأمراؤنا إذن غير شرعيين .

ابن رشد : أتقول إنهم غير علماء .

صوت ٧ : ما الذى يحقق شرعية السلطة ؟

ابن رشد : العفة ، والعلم ، والحكمة .

صوت ٧ : على هذا الأساس ينبغى أن يخلع مواطن مسلم سلطانا غير كفء ، فاسقا ، أو فاجرا .

ابن رشد : الذى يقرر هذا هو أنت . حسب ما أرى فإن السمة الظاهرة لشرعية حاكم هى علمه . وينبغى أن يصاحبها فضائل أخرى مثل المجد ، والثروة ، والتوفيق ، والقوة .

صوت ٢ : إلى هذا كنت أريد أن أصل . هذا يتعارض مع الجهاد ، فى هذا الوقت الذى نود فيه أن نسترجع الأرض التى تركها المرابطون قبلنا مسلوبة بسبب

ضعفهم ، فى هذا الوقت الذى يطمح فيه شعبنا ببصره إلى وحدة العالم الدينية ، فى هذا الوقت الذى تنهض فيه دولة الموحدين لتبسط سلطانها ، يرفض فيه ابن رشد فرض العين على كل مسلم الذى نشأنا عليه نحن ، ونشأ عليه آباؤنا من قبلنا والذى خوّل لنا العظمة والسلطان ، والذى قدم بنا إلى هنا : الجهاد .

ابن رشد : لم أنكر هذا الفرض . أنا رجل مسالم ، لكنى لست مستسلما ، ما أقرره هو أنه ربما يتعلق هذا الواجب بأشخاص أهل لتحقيقه .

صوت ٣ : أتعتبر فلسفتك أرفع منه ؟

ابن رشد : أدافع بما فى وسعى عن حرية العمل بالنسبة للعلماء ، العمل الصامت ، الشاق ، المليء بالزهد ، وإنكار الذات ، المكرس تماما لخدمة الجماعة ، افهمونى ، افهمونى ، (تبلغ الضجة ذروتها . حتى على وجه ابن رشد) .

صوت ابن رشد : كانت ساعة القيلولة ، وكان الحمام يسجع ، وتفوح رائحة الياسمين ، حينما كنت أترجم أرسطو ، فسمعت فى الشارع صوت الزجال الصعلوك هذا المجنون ابن قزمان ، وكان يتسلل صوته فى شيء من الوضوح من خلال النافذة المفتوحة بين عبق

الياسمين الفاغم والورود ، ماذا كان يغنى ؟

صوت ابن قزمان : فمثلك أعطى ، ونشط للمديح [وأثار الكراهية والحقد] (١) ومثلى أخذ وشكر ، وانصرف . (قهقهة)

وإذا مت مذهبى فى الدفن

أن نرقد فى كرمة بين الجفن

وتضموا الورق علىّ كفن

وفى رأسى عمامة من زرجون

ابن رشد : (فى حزن) فى ذلك الوقت لم أدرك ما كان يبغى الزجال فى زجله أن يبلغه إلىّ .

كل الأصوات : ملعون ، ملعون (مرة ، مرة ، وفى جماعات) .

صوت ا : باعتبار أن نظريات ابن رشد مؤذية ، فإننا – نحن العلماء والفقهاء فى قرطبة نناشد أمير المسلمين – حفظه الله – أن يعلن هذا الخطر شعبيا ، كما يبتر العضو الأشل من جسد الجماعة الأهلية ، ونتيجة لهذا نلتمس من أمير

١ – ما بين معقوفتين أضافه المؤلف على نص ابن قزمان

المسلمين أن يجرد ابن رشد من كل مناصبه ، ومن كل رتبه ، ومن كل ثرواته . وأن تحرق مؤلفاته ، تعليما للناس ، وتنكيلا بمن يمكن أن يكون من أتباعه والمارقين ، وأن ينفى عن مدينة قرطبة .

(من عدة أماكن هامة فى قرطبة ، يُقرأ الحكم فقرة فقرة ، أحيانا جملة جملة ، وأحيانا أخرى كلمات فقط بين همس مستغرب من الناس) .

صوت ابن رشد : (يغطى على تلاوة الحكم) لا تخدعوا هذا الشعب الرائع ، لا تهيجوه بالباطل ، لا تخدعوه أبدا ، إنكم تهزونه دائما بين موافقته مثل الطفل كيلا يزعجكم ، أو بين معاقبته فى فظاظة مثل الطفل دون أن توضحوا له السبب ، تتنقلون من الديماجوجية إلى الاستبداد ، احترموا شعب قرطبة هذا ، واحذروه فإنه مثل السكين إن لم تحسنوا استخدامه فإنه يقطع أيديكم .

(فى ميدان منزو ، وفى الطريق الذى ينادى فيه بالحكم شرعوا فى إحراق كتب ابن رشد) .

ابن رشد : كل إنسان حين تجرحه التعاسة فإنها تجرحه فى أعمق أعماقه . وداعاً ياأبنائى : ياأبناء لحمى ، وأيضا أبناء

نفسي أعي أنه في يوم ما ستنتهي حمى الاتهام هذه ، وإفناء عمل الغير العسير ، وستزول هذه البلادة ، وذلك الحزن ، وسوف تستمرون من بعدى تحكمون ، وتعملون فى قرطبة ، إننى أدرى ذلك ! هذه مدينة هادئة ، لكنها لا تنسى ، وشعبها عادة أفضل من حاكميه ، سيزول هذا الحقد ، سينتهى هذا الهوى غير المسوغ للحرب التى تدمر قبل كل شيء أكثر الناس منها قربا . وسوف يزول العامل الهدام بالنسبة لأولئك الذين يمارسون السلام والعلم والحوار، لكنى لن أحيا حتى أرى هذا ، لن أرى قرطبة بعد ذلك ، حبيبتى ولن أرى نجومها الكثيرة السهاد والتى طالما كنت أرعاها ، ولا هواءها الذى خبرته فى تأن . ولا هزات أرضها التى استطعت أن أعلنها قبل حدوثها ، لن أرى بعد ذلك هذه الأرض ، ولا هاته المناظر ، ولا تلك الأم التى كانت مهيئة لاستقبالى يا أسفا على قرطبة ، التى تنفى علماءها ، وأبناءها البررة ، وتطفئ أنوار الذكاء ، وتشعل الجذوة المعادية ، وتنفى شعراءها ، وتمجد الذين يستبدون بها . وا أسفا عليك ياقرطبة . إنك هجرت الشروع فى الفهم ، وكذلك وا أسفا عليّ فإننى أفقدك ، واأسفا عليّ حين أكون على عتبة الموت يقصوننى عنك ، حين احتجت إلى جوك

يهجر الزرزور شجر الزيتون ، (يأخذ الصوت فى التلاشى)
وداعـا قـرطبـة ، وداعـا ، سـأسـقـى أرضـا أخـرى بدمـوعى ،
ستوارى أرض أخرى هذا الجثمان الذى منحتنى إياه ، وداعا ،
وداعا .

الزهـــراء

(يخرج آخر فوج من السائحين بعد رؤية أطلال مدينة الزهراء ، يغلق الحارس باب الدخول من السور ، بعد ذلك يعود إلى مسكنه ، يقترب الغسق ، نستمع إلى رفرفة حمامة ، بيضاء ، يشوبها سواد على شكل طوق ، تحط فوق أعلى مكان من الطلول ، تترقب ، تتهادى ، تقف ، تختفى وراء تاج عمود أوسارية ، وحين تظهر ثانية نرى الزهراء) .

الزهراء : (باحثة عن أحد) عبد الرحمن ، . . عبد الرحمن الناصر . . . عبد الرحمن .. (فى حزن) لم تأت اليوم كذلك ، لقد أزهرت أشجار اللوز ألفا وثلثمئة وخمس مرات منذ أن مضيتُ ، منذ أن أغمضت عينىّ ، ومنذ أن بسطت يدك يا عبد الرحمن مغطيا وجهى بآخر قناع ، ألفا وثلثمئة وخمس مرات اختلفت إلى هذه المدينة حيث أبرمنا معاهدة أنت تنقضها يا عبد الرحمن أين مضيت ؟ أين اختفيت ؟ إن ظلت واقفة هاتيك الأعمدة منذ ذلك الحين ، وتلك المآذن السامقة ، وهذه الجدران المطرزة منذئذ فربما أفكر فى أنك ستخرج ضاحكا من

خلف أحد الأعمدة أو المآذن أو الجدر
التي اختفيت وراءها كما كنت تلعب
أوانئذ . . . لكن ماذا بقي هنا مما كان ؟
حجارة ، حطام ، حجارة آلت حطاما ،
وحبى ، . . بل حبنا

يا عبد الرحمن : فى ذرع الزمن والرجال أن يأتوا على
أجمل مدينة عرفها الزمان والناس ، بيد
أنه ليس فى وسع قوة أن تأتى على هذا
الحب الذى من أجله شيدت هذه
المدينة ، فوقها يا عبد الرحمن كانت
تقف الكواكب من أجلى وأجلك ،
شكراً ياحبى لأن كل شيء تحول فى
يديك إلى معجزة ، لأننى بجانبك –
طوال الوقت – أقنعتنى بأن الموت لم
يكن مدعوا على مائدة أعيادنا : وأننى
كنت خالدة ، وأنت خالد ، وخالدة
كذلك أفراحنا ، شكرا يا حبى ، يا عبد
الرحمن ، من أجل المعاهدة التى
أبرمناها معا تحت هذا القمر ذاته الذى

كان يفضّض الحدائق ، ويرطب الأبهاء
بالضياء ، ويتلألأ فى الغدران معاهدتنا
التى أبرمناها أول مساء . . .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) سأبتعد عن كل ما
يبعدنى عنك ، وسأنأى عن كل ما
يقصينى عنك . . .

الزهراء : (**خارج المشهد**) (**كأنه صدى**)
سأنأى عن كل ما يقصينى عنك . . .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) كونى وفية للعهد
مادمت أنا وفيا : أن تكونى محبوبة
يقتضيك أن تكونى محبة . . .

زهرة : أين أنت يا عبد الرحمن الناصر ؟ آه !!
ما أقرب ماكنا ، وماأبعد ما نحن اليوم !
كم مرة حتى الآن علىّ أن أهبط قبل
أن أستقر من جديد بين ذراعيك ؟ لأنه
ليس ثمة امرأة كانت محبوبة مثلى ،
لكن ليس ثمة امرأة كذلك كانت
عاشقة مثلى .
(منظر لمدينة قرطبة ، ربما من فوق

منارة الكاتدرائية . الجو ليلا)

الــــزهـــــراء : أذكر أول مرة رأيتك فيها ، كانت في بهو البرتقال بالحامة الكبرى : في مكان كان قلب مدينة قرطبة حينما كانت قرطبة قلب العالم ، وأنت أول خليفة أموى يستقل عن خلافة بغداد ، تتعايش هنا كل الأجناس ، كل الأديان ، يؤمها علماء من فارس ، وبيزنطه ، معماريون من دمشق والإسكندرية ، موسيقيون ، وشعراء من كل فج عميق ، وقرطبة المدهشة المذهلة ، كانت تحتوى الجميع ، وكنت الملك الأكثر حرية وثقافة في كل الممالك : حيث كان الحداد يلبس البياض ، وحيث كانت الراية أيضا . . . كان ملوك النصارى مثل عمد القرى ، ويعيشون عيشة عمد القرى حين يقارنون بك ، كنت تتلقى هدايا هائلة من ملوك بعداء ، وأجمل السبايا من كل الأصقاع . .

وكنت أنا واحدة منهن ، عبد الرحمن ،
ياحبى . . .
(قريبا من نافورة بهو البرتقال ، خارج المشهد كل الحوار الآتى والوقت نهارا)

الـــزهـــراء : حدث ذات صباح ، استمعت هنا — مذعورة — حديثا بلغات شتى . . .
كنت قادمة من إلبيرة ، قروية ، من سييرا نيڤادا كنت بين زميلاتى مثل شاة تنتظر المدية ، كانت تسمع نواقيس المستعربين ، وأصوات المؤذنين ، وكان الهواء يفوح برائحة أزهار البرتقال . . .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد ، كأنه يتذكر**) كان الهواء يفوح باسمك يازهراء . . .

الـــزهـــراء :كان عالما جديدا جدا بالنسبة لى ، قد وصلت من جليد جبالى . . وصلت فى أبريل ، حيث كانت فى ظلال انتصاراتك ، الممتدة حول البهو ، كان الفقهاء يقننون العدالة ، والأساتذة

يلقون دروسهم ، والأثرياء يتنافسون في مزادات المخطوطات والأعمال الفنية الغريبة ، والشعراء الفتيان ينشدون قصائدهم الغزلية ، ويطالع العلماء متربعين في ضوء الشمس ، والقيان يعزفن ويغنين أغنيات من بلادهن ، وتشمخ الراقصات بصدورهن في الرقصة . . وأنا أنظر كل هذا مذعورة مثل شاة تنتظر المدية ، كنت في الخامسة عشرة من عمري ، وكان الهواء يفوح برائحة البرتقال .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد كأنه يتذكر**) كان الهواء يفوح باسمك يازهراء . . .

الزهراء : موجة من الضجة ، وحدوث حركة مفاجئة ، الخليفة وصل . رأيته عبر وجوه كثيرة أخرى ، لم أكن رأيته من قبل ، لكنني عرفت من هو . كنت أنت يا عبد الرحمن كان يتخلل شعرك الذهبي شعرات فضية ، رأيتك

هادئا عـذبا ، فكرت : « لابد أن يكون الملك على هذه الصورة » فـجأة وقـفت الحـاشـيـة ، وقـفـت حين وصلت إلى مكانى . وبإيماءة منك أقصيت الذين كانوا يفصلون بيننا ، ودون أن تطرف عينك ، ودون أن تبتسم ، ودون عجلة اقـتـربـت منى مـثـل من يقـصـد هدفـه مبـاشـرة ، ومـثـلـمـا تشـعـر شاة بشـفـار المدية شعرت بنظرتك ، أطرقت برأسى (تفعل هذه الحركة)

عـبـد الرحـمن : (**خارج المشهد**) ما اسمك ؟

الـــزهـــراء : (**خارج المشهد**) الزهراء ياسيدى .

عـبـد الرحـمن : (**خـارج المشـهـد**) كل شىء يـفـوح هذا الصباح برائحة الزهر ، هذا الصباح كل شىء يفوح باسمك ، ليحفظ الله من سَمَّاكِ الزهراء .

الـــزهـــراء : (**فى المشـهـد**) سمـونـى بالزهراء حين ولدت ، إن قدرى لم يصنع شيئا سوى تقبل الاسم الذى خلعوه علىّ .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) سأفعل ما يجعل لاسمك الذكر الأبدى .

الزهراء : (**فى المشهد**) لقد شيدت مدينة الزهراء يا عبد الرحمن ، لم تر أعين الناس ، وما رأت ، ولن ترى مدينة مثلها .

(مرة أخرى بين الطلول)

الزهراء : لقد اتفق كل العالم على أن يشيد هذه النادرة امتلأت البحار بالسفن المقلعة من أفريقيا وسورية ، وإيطاليا واليونان محملة بالهدايا من أجل مدينة الزهراء ، وقدم من تونس وميديا اليشب الأخضر والوردى ، وما بقى من قرطاج أحضروه إلى هنا وأرسلت روما الأعمدة ، ومن بيزنطة الأحجار السماقية والفسيفساء ، ومن طاراجونة ومالقة وألمرية الرخام الخمرى والأبيض والمجزع ، لقد آضت مدينة الزهراء تاج العالم ، هنا كانت الأحجار

مثل الزهور ، وكانت الزهور أحجاراً ثمينة ، لقد رصعت بطانة السقوف بلآلئ مجسمة ، وتحت الأرصفة كانت السواقى تصدر أنينا على ثمانية وثلاثين نمطا مختلفا لكى تثير النفس ، أو تهبها الإغفاء ، أو تهدهدها ، كان فى المداينة أكثر من ستة آلاف عمود ، وأكثر من خمسة عشر ألف . . .

عبد الرحمن : (خارج المشهد) سأفعل يازهراء ما يجعل لاسمك الذكر الأبدى .

الزهراء : فى اليوم الذى أحضرتنى فيه ، فرشت الطريق بنثار الذهب والناردين ، والقرفة كيلا تلوث الأرض أقدام العبيد الذين كانوا يقلون هودجى وهذه هى الغرفة التى التقينا فيها أنت وأنا كانت أقباؤها العالية مرصعة بالذهب والفضة ، هنا كانت البحيرة التى كنت أستحم بها ، المشيدة باليشب الأخضر المرصع باللآلىء وحولها اثنا عشر حيوانا

مصوغا من الذهب الإبريز ، تلفظ المياه
من أفواهها ، وعلى إيقاع هذه المياه قلت
لى ذات يوم . . .

عبد الرحمن : (خارج المشهد) كم أود أن أفتح
فؤادى ، وأضعك بداخله ، ثم أغلقه ،
كيلا تستطيعى السكنى فى غيره حتى
يوم النشور .

الزهراء : هنا عانقتنى بعنف ياحبى ذات أصيل ،
وضممتنى ضم الكمىّ سلاحه ،
وتدلت ضفيرتاى من عند كتفيك
مثل حمالتى السيف .

عبد الرحمن : (خارج المشهد) فى المساء نمت فوق
قلبى ، وبرفق زحزحتك عن ضلوعى
كيلا تنامى على وساد خافق . . .

الزهراء : لقد نظمتنا يد الحب للسرور والجمال :
كنا مثل الخرز وكان الحب مثل الخيط . .
(فى شكوى) من الذى استطاع أن
يقطع هذا الخيط يا عبد الرحمن
ياحبى ؟ قل لى من الذى استطاع أن

يتعدى عليك أيها الناصر . . . (فى مكان آخر من الأطلال) كانت هذه هى قاعة سفرائه ، بجدرانها المرمرية القوية بزخرفتها المفرغة ، بأبوابها الثمانية من الأبنوس والعاج وبطانة سقفها مرصعة باليواقيت ، والعقيق ، والجزع ، وبحيرة الزئبق الضخمة تبهر من كان ينظر إليها ، كما تبهر من ينظر إليك يا عبد الرحمن ياحبى ، أين ذهبت ؟ . . . هنا عذلك نصرانى أن تتوله بقينة مثلى وأنا عبر المشربية سمعتك تجيبه .

عبد الرحمن : (خارج المشهد) لو كان فى ذرعى أن أسيطر على حبى ربما لم أحبها ، بيد أن سلطانى لا يصل إلى كل هذا ، لست أحبها لحلاوة مقبلها ، ولا لوميض عينيها ، ولا لجفونها المراض ، لست أهواها لأن من بين أصابعها تثب متعتى ، وتلعب كما تلعب الأيام مع

الآمـــال ، لست أهواها لأن جـســـدها
يمثل لى الربيع الوحيد ، لست أحبها
لأنه حين أراها أشعر بالرى فى الحلق ،
وبالظمأ الحارق فى الوقت ذاته ، إننى
أهواها ببساطة ؛ لأنه ليس فى وسعى
صنع شيء غير أن أهواها .

الـــزهـــراء : من الذى جذم آصرة روحينا ياحبى ؟
من الذى حل الأنشوطة المعقودة فى
يدينا ؟ منحوس ، منحوس ، منحوس ،
كنا فى الغسق جالسين بين زهر
الأنيمونى بالقرب من السنبل البرى ،
وعلى شاطئ البحيرة وارف
النيلوفر حين سمعنا بوضوح صوتا
واضحا ياحبى . . .

صـــوت الرجل : رغبتم فى تشييد مدينة خالدة ،
رغبتم فى بناء مساكن أبدية ،
ستعلمون قريبا أن فيء عوسجة يكفى
لمن يصل مجهدا فى نهاية رحلته ،
(يسمع صراخ خارج مدينة الزهراء)

(فى خارج المسجد)

صـــــــوت : إنكم قد آثرتم غضب الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى فى خرابها ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ، لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا ، فثم وجه الله ، فاتقوا الله ، ومارسوا السلام مع إخوانكم ، لعلكم ترحمون .

الـــزهـــراء : (ذاهبة نحو المحراب) هنا مكان مقدس ، كل الناس ذكروا هنا خالقهم أيا كان الاسم الذى أطلقوه عليه ، هنا تعبَّد الرومان ، وأمم أخرى خلت من قبلهم ومن قبل النصارى والمسلمين ، ثم من جديد يتعبد النصارى ، لكنها أمة فى إثر أمة . ومع ذلك فإنه شىء جميل فى مكان مثل هذا ، قريب من النهر ، بين الجبل والقرى أن يعبد

الناس جميعاً مرة واحدة هذا الذى خلقهم على صورته : كل هؤلاء الذين استقروا بجانب النهر العريق بين الجبل وبين الريف ، تبارك الله القدير (مذعورة) الذى يحيى ويميت وإليه النشور .

صوت : «وإذ قال إبراهيم ، رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أو لم تؤمن قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم» .

الزهراء : (بين الأعمدة) يا عبد الرحمن ، يا عبد الرحمن ، لماذا كل عمود يباين الآخر هل لكيلا ألقاك يا عبد الرحمن ؟ (بقعة على سطح المرمر فى أحد الأعمدة تذكر بوضوح رأس عربى ، تقبله الزهراء) .

صـــــــوت : « سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، والذى أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى » سبحوه سبحوه (أطلال مدينة الزهراء) لم يكن هذا بسبب سخط البربر ، بل بسخط الله الذى أتى على كل هاته العظمة لكى يتذكر الناس أن تسامحه ليس مطلقا ، وأن حبه ليس مطلقا وكذلك ابتلاءات حبه غير مطلقة .

الـــزهـــراء : كانت هذه المدينة تسمى الزهراء ، لم تدم أكثر من عمر زهرة . لكن ماذا يعنينا ؟ إن حبى لك ليس فى حاجة إلى الحياة لكى يظل متوهجا .

عبد الرحمن : (خارج المشهد) على كل هذه الأحجار أمرت أن ينقش حبى لك ، فإذا حدث فى يوم ما أن داهمها خراب جعل عاليها سافلها فإن كل بقية من بقاياها تشهد على الحب (الزهراء تتأمل زهرة فى وسط الأنقاض)

اقطفى هذه الزهرة الآن وبعد ذلك ،
بمجرد النظر إليها تتحول إلى لا شيء . .
(فى الحدائق المزهرة فى القصر القديم ،
على شاطئ نهرالوادى الكبير)

الزهراء : ذات يوم ، كنت أرى الماء يجرى كثيفاً مثل الزيت ، وبين الطواحين قلت لى . . .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) لوددت أن أبين لك أنه لا أحد فى هذا العالم أحب أحدا مثلما أحبك أنت ، فماذا أستطيع أن أفعل ؟

الزهراء : (**خارج المشهد**) حدّق فى يا عبد الرحمن ، حدّق فىّ ، إن الله خلق أمته على عينه ، حسبى هذا لأعظم الله فى نفسى ، (حاضرة) هكذا أجبتك . . منذ ذلك اليوم . آه أى نحيب قد حملته المياه ، لكنك أصررت .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) ماذا ينقصك يازهراء ؟

الزهراء : (**كأنها تلعب**) (**خارج المشهد**) إن قرطبة مرآة العالم يا عبد الرحمن : عقده الفريد ، إنك وهبتها الجمال والسلام : هذان هما ينبوعا الحكمة ، لكن قرطبة يعوزها شيء ما ، كان لديّ في جبل إلبيرة قبل أن أعرفك .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) ما هو يازهراء ؟ قوليه لي وستجدينه هنا أيضا .

الزهراء : (**خارج المشهد**) ليس في الإمكان ، إن الله قد صنع بإرادته الجبل والسهل ، والحر والقرور ، يطلقون على جبلك هنا اسم الجبل الأسمر ، ويطلقون على جبلي جبل الثلج ، وأنا منذ طفولتي أقضي أصيل الشتاء أرقب في ذهول سقوط البرد ، ولا تعرف قرطبة الجليد ، وأنت يا عبد الرحمن ليس في ذرعك مع كل سلطانك أن تجعل قرطبة تثلج .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) ستثلج من أجلك يازهراء ، ياحبى ، سأجعلها تثلج .

الزهراء : غطيت بأشجار اللوز جبل العروس (جبل المحبوبة) يا عبد الرحمن وآض جبلك الأسمر أبيض من الحب مثل العروس ، أبيض مثل جبلى ، وفى الصباح حين أرى الجليد المعطر ظننت أنى أموت من الحب وكل عام كثيراً ما كنت أهبط فى اليوم الذى تزهر فيه أشجار اللوز لأقدم شكرى . . شكرى على حنان جليدك وحرارته يا عبد الرحمن ياسيدى ، سيدى ، سيدى أنا . .

(فى متحف الآثار صاعدة نحو القاعات العربية) .

الزهراء : لا يكاد أحد الآن يتذكر إلا يجد شواهد الحب الكثيرة باردة ومرتبة ها هو المرمر المهشم حيث أمرت بحفر العهد فى أول ليلة : « سأبتعد عن كل

ما يبعدنى عنك » ماذا حدث للجزء الآخر ؟ « سأنأى عن كل ما يقصينى عنك » . . . الأمر سواء حيث يكون : من الممكن أن يتهشم المرمر ، لكن عهدنا لا يا عبد الرحمن (أمام مائدة عليها جواهر) إنها جواهرى ، كانت جواهرى ، الجواهر الدون ، المحتقرة من كل السلب (ترفع الغطاء الزجاجى ، تتقلد عقدا) .

عبد الرحمن : (**خارج المشهد**) إن نحرك رقيق جدا يازهراء شديد الرقة لدرجة أن جواهر الطوق تميل به (تلبس الزهراء أسورة تتسق تماما مع معصمها) إن جلد معصميك هائل الرقة حتى الأساور تدميهما .

الزهراء : (تشرب كأسا) ذات مساء ، تحت شمس زعفرانية متكئين على مخمل الآس ، مترنحين من السعادة ، لم يكن أحد من الملوك مثلك ،

أنـــا وأنـــت فـحـــســـب يا عـبـد الرحــمن ، شـربـت نـبـيـذا أصــهـب من هذه الـكـأس ، على حــافــتــهــا ظلت شــفــتــاك بعض وقت . . . (تـكاد تبـكـى ، تجـيل شـفـتـيـهـا عـلـى دائرة الكأس) ، بعـد ذلك حـضـرت سكرة الموت ، وحـلـم الموت (تـقـع الزهـراء متكئـة فى إحدى القـاعـات فى أطلال مـدينة الزهراء) جـاءت ليلة الخطر ، والفراق .

صـــــــوت : لقـد اجتنبـتم مـا أمر الله به ، سوف يجرفكم بماحقه ، تحاولون التوحد وليس ذاك بمتـيسـر ، لن يدافع عنكـم أحـد ، لأن الله سـمك السـمـاء بـيـديه خـلقـهـا فى راحــة وجــعـل الأرض مــشــاعــا ، خـضـراء ، ذات أنهــار عـراض ، وأنـتـم أردتم أن تجعلوا لكـم وحـدكـم سـماء فى الأرض .

الــــزهــــراء : لا شئ يقف أمام قضاء الله (أصوات

قصيـة من عبـد الرحـمن ، فـى نشيـج
تنادى الزهراء) هاته الأصوات أطلقتها
منـذ ألف سنـة وأكـثـر فى هـذا الوادى
رغبنا فى البقاء ، ياحبى ، بيـد أنَّا لـم
نستطع ، الإنسان هو بدوى راحل ليس
فى ذرعـه اللبـث : الفـرار ، الفـرار ،
تذوى الغـلال ، ويذبل شـجـر اللوز ،
تتـلاشى الكلمـات ، والفـرسـان الذين
امتطوا صهوة الجياد فى خيلاء يهوون
إلى الأرض ، والأسـقـف المذهبـة تخـر
على الأرض ، والجـمـال الذى تكـلف
سنين عـددا لكى يتم يسف ويسـقط
فى غمضة عين ، لكل أمة أجل إذا جاء
أجلهم فـلا يسـتـأخـرون سـاعـة ولا
يستقدمون ، لا شىء يقف أمام قضاء
الله ، لقـد دمرت بغـداد قبل قرطبة ،
وأتى الدهر على عاشقين قبلنا ، ياعبد
الرحـمن لم تحـسن صنعـا أن أطلقت
على هذه المدينة اسـمى ، إن الزهر لا

عمر له تقريبا ، وداعا أيتها الشرفات المنطفئة ، والبقايا المجهدة التى شاهدت سعادتى ، وداعا شفافية النسيم ، وداعا أيها الشهود ، . . سيأتى يوم تتجمع فيه عظام الزهراء ، تكتمل فيه أنامل أصابعها ، يوم تضغط فيه يداى على يدى من هويت ، إذا خسف القمر ، وإذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، حين تخضر وجوه من يعيشون الآن ، ويبحثون عن ملاذ دون أن يصادفوه . . . لأننى أقسم لكم أن الحب لن يموت : إننى من الحب وللحب خلقت ؛ لهذا حين أعود إلى الحياة – فالأحجار وأشجار اللوز ، والمنارات الهاوية ، والرياحين ، والنخيل ، والأقواس ، والمعادن ، والروعة البائدة – يامدينة الزهراء فإن كل بقاياك حيث كانت قصية ، أو غائرة ستؤوب إلى مكانها حيث

وضعها الحب ، لأنك يامدينتى
أنشئت مثلى من الحب وإلى الحب . .
(إلى الداخل) وأنتم أيها العشاق
أحبوا دون أن تضيعوا لحظة واحدة .
قبلوا ضوء الشمس ، أو ضوء القمر
(يبدأ الصبح يتنفس) هذا الضوء
الذى يبحث عنكم مجتهدا قرونا إثر
قرون لكنه يبحث عن قبض الريح . . .
مثلما بحث عنى ولم يلقنى (تختفى
الزهراء حقيقة وراء أحد الأعمدة)
وداعا أيها العالم الذى عشقت فيه ،
والذى كنت فيه معشوقة ، (وراء
العمود تنهض حمامة ، هى التى
كانت فى البداية ، تطير نحو جهة لا
ندريها) .

المنصور بن أبى عامر

(في مسجد قرطبة ، في الجزء الذى شيده الحكم الثانى)

المنصور : أبو الحسن بن جعفر بن عثمان المصحفى ، أتبايع هشام الثانى ابن الحكم الثانى خليفة بفضل الله القادر ؟

صوت المصحفى : أبايعه .

المنصور : (تأخذ الأصوات في التلاشي شيئا فشيئا) محمد بن حفص بن جابر .

صوت ١ : أبايعه .

المنصور : عبد العزيز بن حدير بن عذارى

صوت ٢ : أبايعه .

المنصور : عبد الله بن برطال

صوت ٣ : أبايعه .

المنصور : أبو إسحاق بن محمد الأفليلى .

صوت ٤ : أبايعه .

(في حدائق القصر)

صبح : قد عرفتك منذ تسع سنوات يا أبا عامر ، وما رأيتك مطلقا بعيد الغور كما أنت الآن ، كنت هذا الأصيل رائعا جدا أمام

الناس وأنت تأخذ البيعة ، إننى أحببتك يا
أبا عامر . . فى أى شىء تفكر ؟
(متهكمة) أتشعر بالأسى لموت الحكم ؟
لم يكن زوجا بل لم يكن رجلا ، من
الأفضل أن أكون أم الخليفة الجديد .

المنصور : خليفة فى الحادية عشرة يا صبح !

صبح : لا تنادنى هكذا ، إن اب أبنى أطلق علىّ
اسم غلام : جعفر ،إن قرطبة تدعونى
« صبح » وأنا يروق لى أن ينادونى كما
كانوا ينادوننى فى وطنى البسكى إن اسمى
أُورُورا بالنسبة لك .

المنصور : فى يوم ما سأغير اسمى أيضا بالنسبة لك .
فى يوم ما سأسمى نفسى المنصور .

صبح : (ضاحكة) المنصور ؟ هذا لقب قائد
جيش ، ليس لقب رجل سياسى مثلك يا
أبا عامر يجب أن تدعى « الطموح » وليس
« المنصور »

المنصور : لماذا ؟

صبح : لقد وصلت إلى حيث أنت ، حتى أنا نفسي لا أكاد أعرف من أين جئت .

المنصور : أين أنا ؟

صبح : انظر يا أبا عامر . ياللأسف إنك لم تر نفسك اليوم في المسجد .

المنصور (خارج المشهد ، ناظرا نحو الوادي الكبير) هذا الجسر أول ما أذكره من قرطبة ، إنني قدمت من طورش بجانب وادي آرو كنت فتى يقظا ، قليل الابتسام ، تروق له النساء كثيرا . (ضفة بجانب « أبو العافية ») جئت لدراسة الفقه والبلاغة ، فكل أسرتي فقهاء ، قليل منها درسوا الطب . كم مرة رأيت فيها أصيلا فوق المياه المتباطئة عظمة الشمس ، وهي تذهِّب الربض ، كم حلم من أحلام العظمة دون معنى حمله نهر الوادي الكبير نحو أشبيلية ، ما أشق أن يتطلع إنسان إلى الحكم ولم يولد حتى ولو من بعيد في مدارج العرش (مجموعة من الفتيان) « فتى مجنون ،

محمد بن أبى عامر المعافرى ، فتى مجنون »
كنت أردد هذا بنفسى . وبين رفاق الدرس
كنت أتعامل كأنى لن أمارس أبدا الفقه ،
أشم ، قصيا « سيكون أبو عامر قاضى
قرطبة » وكانوا يرددون هازلين : « أووزيرا ،
ألا ترون ؟ » ينظر إلينا فى ازدراء « لكن لن
يكون أبو عامر فقيها صالحا على الإطلاق »
كان صحيحا : كم كنت أضجر من الفتاوى
التى لا حصر لها ، والأحكام المحفوظة عن
ظهر قلب ، وحيل المتفيهقين (خارج
كنيسة القديس بارتولوميه) عند إحدى
البوابات ، قريبا من القصر ومن النهر نصبت
مكتب الدعاوى ، هنالك كان يقصدنى
العوام كى أكتب لهم عرائضهم ،
التماساتهم ، كتبهم إلى الوزراء أو القضاة ،
كان يؤلمنى معصمى من الكتابة طوال اليوم ،
عامين اثنين – عامين فظيعين طويلين –
قضيتهما هنالك ، أخفقت أحلامى
فى السلطان (جدران قرطبة) تزوجت

ليس يعنينى بمن ، كانت الذلفاء زوجى الأولى ، ثم تعاقبت أخريات ، عندما قدمونى لأعمل كاتبا فى معية قاضى قرطبة ، علمت أن آمالى أخفقت . (بهو : بيت دى لاس ثياس ، أو قصر بيانا) موظف تافه إلى الأبد . مساعد قاض تفوح منه رائحة المداد والورق كل الوقت ، معذبا تحت الأسقف الخانقة ، بينما السلطان فى الخارج يتمطى تحت السماء الرائعة الزرقة ، وكذلك المتعة فى أن تكون مطاعا ، لأنه ما هى الحياة الحقيقية دون هذا ؟ ثمة أناس أكثر سعادة على نمط آخر ، يحيون على ألف طراز من الحياة ، لكن عالم السلطة شىء آخر بعيد عن السعادة ، ربما فوق السعادة ، شئ لا يمكن مقارنته بأى شىء ، شىء يماثل سلطان الله ، وتعالى الله عن أن يكون بائسا أو شقيا ، إنه القاهر وكفى . . هكذا كنت أرى الأشياء ، وحين كنت فى السابعة والعشرين من عمرى ، فى ركن أحد الأبهاء

أكتب محضر دعوى دعونى إلى القصر ، وتحدث إلى الوزير المصحفى ، حسبت أن كل هذا أضغاث أحلام ، مثل حكايات الشتاء التى يزعمها الزَّمْنى ، ولا تصلح لشيء .

(جدران المسجد الخارجية ، واجهة غربية)

صوت المصحفى : قدم إلىّ القاضى أسماء كثيرة ، وقد اختارت السلطانة - حفظها الله - اسمك أنت ، وكافأ الخليفة فى كرم واضح أم ولديه الوحيدين : عبد الرحمن وهشام ؛ وعملك أن تكون قيما على مالهما .

صبح : فى خلال السنوات التسع التى عرفتك فيها ما رأيتك مطلقا مشغول البال كما كنت اليوم ، ما أجمل ما بدوت لى حين رأيتك المرة الأولى يا أبا عامر ، دخلت مقصورة الحريم مثل جبريل مشعاً بالضياء ، رغبت وقتها أن أدلك أنامل يديك بحجر خفاف لكى أنزع منها بقع المداد . . ماذا حدث لك اليوم ؟

(جدران عربية جميلة)

المنصــور : (خارج المشهد) وبعد ستة أشهر تقلدت دار السكة ، بعد ذلك صرت رئيس الخزانة ، وبعدها قاضى لبلة وأشبيلية، وبعد قليل عيننى الخليفة بعد وفاة ولدك الأكبر وكيل دار هشام ، كان ذلك حين شيدت منزلى فى الرصافة ، وانطلقت الشائعات تتهمنى بأننى أهدرت مال الخزانة ، بالطبع أنفقت ، كان لابد لى أن أسعد الحريم بادئا بصبح ، وبالأصدقاء ، أولى التأثير ، وبالذين من الممكن أن يصلوا إلى التأثير ، وبالجواسيس ، وبأصحاب الألسنة ، طلبت قرضا كى أسد الخلل ، وبهذا طمأنت شكوك الخليفة إلى الأبد ، فقلدنى رئيسا للشرطة وبعد أشهر قلائل إدارة الفرق التى مضت لحرب الأدارسة فى أفريقيا وخلالها عرفت غالب قائد الثغر الأوسط ، وعند قفولي عينونى مراقبا عاما لجنود الجيش .

صبح : أبا عامر ، ياحبى ، ستقول لى ماذا حدث لك اليوم أم لا ؟

المنصور : بلغت السادسة والثلاثين من عمرى . وكل المناصب التى تقلدتها مناصب إدارية بحتة ، لا أحد منها يحمل شارة السلطة .

صبح : (ضاحكة) « الطموح » لقد توسمت فيك هذا ، الجو يبرد ، هيا إلى الداخل (من الحديقة يعبرون إلى قاعة داخلية) . إن الوزير المصحفى ، وأنت وأنا الذين بيدنا الآن مقاليد الخلافة (فوق مائدة مرصعة علية شطرنج تشرع صبح فى الإشارة إلى قطع سوداء : الملك) ولدى . (الملكة) أنا (طابية) الصقالبة (طابية أخرى) وجوه الناس . (حصان) البربر . (حصان آخر) الجيش . (فيل) المصحفى ، فيل آخر . (أنت) .

المنصور : يعنينى أيضا الصف الأول . والقطع الأخرى البيضاء لست أمثل أية قطعة يا أورورا ، كل ما وددته طول حياتي أن أكون

اليد التى تحرك الشطرنج .

(صالة قصر ، من الممكن أن تكون إحدى قاعات المسجد ، أو قاعة القديس فرناندو مثلا) .

المنصور : إن الخليفة مازال حدثا ، وأنت سيدة ، وأنت الحاجب إنكما أنتما اللذان تقرران خطة الملك ، إنهم يقطعون الطريق عليكما وأنتما تعرفان ، وكل قرطبة تعرف هذا ، لقد تواطأ الصقالبة حين مات الحكم ، يريدون تنحية ولدك ، وقد حلنا دون ذلك ، لكن فائق وجؤذر وهما الرأسان مازالا دون عقوبة .

المصحفى : فى قرطبة ثلاثة عشر ألفا من الصقالبة وهم خطيرون ، متحدون جدا ويحظون بمزايا هائلة منحها إياهم الخلفاء السابقون ، فإن فائق الرئيس الأعلى لفتية هذا القصر ، وجؤذر هو قائد الحرس الخاص ، ولديهما خدم لا يحصون ، إننى أخشى . .

المنصور : (مقاطعاً له) إنهما خصيان يا مصحفى ،

مهما تملك أيد خائنة من سلطات فإنها تصنع خونة أكثر ، إنكما أنتما اللذان يجب عليكما أن تقطعاها ، إننى – فى الواقع – مازلت وكيل الأموال ،وأنت يامصحفى خذ فى حسابك مواطنيك البربر ، وأنت أيتها السيدة وجوه العرب . وأنا بتحركاتى وصداقاتى أدرك أن الفكرة تروق الشعب كله الذى يمقت الصقالبة لعجرفتهم ، وجهلهم ، وقساوتهم . ليس الأمر فقط تطبيق العدالة : لكن الأمر هو الاختيار منهم ومنكم : الخليفة وأمه محجور عليهما فى الواقع . (مداهنا) حين تخضد شوكتهما من المناسب أن يزهو المصحفى بلقب حاجب : إن أوامر الحاجب لا ترد . ما رأيكما ؟

صبح : رتب الأمر فى سرية يامصحفى مع فائق وجؤذر ليس من الملائم أن تشرح لهما السبب : فإنهما يدركان العلة ، إن أبا عامر على صواب ، فسحق الصقالبة ليس بداية

رديئة لسياسة مملكة ، وستكون أنت أيضا
أكثر أمانا .

المصحفى : إن الله يلهمك ياسيدتى ، وأنا أطيع ، شكرا أبا عامر ، فى اليوم الذى أكون فيه الحاجب ، فمن مثلك يحل محلى فى دست الوزارة ؟ هكذا ينتهى مدرج ارتقائك السريع إذ أهنئ نفسى أن عاونت فيه .

(قاعة فى بيت المنصور)

المنصور : (يطرح طابية الشطرنج)
هكذا رأيكم فى الحاجب الجديد ؟

صوت ١ : ليس لأننا فى بيتك أيها الوزير ، فإنك تعرف أن قرطبة تعبدك ، إنك عادل ، وعظيم ، أما المصحفى فإنه بربرى دخيل ، وبخيل ، دس أنفه فيما لا يعنيه طوال عهد الحكم ، لقد حان الأوان ليذهب .

صوت ٢ : إن الأسر ذوات النسب لا تبتلعه ، لقد امتلأ بالذهب وصار مثل الضفدع فارغا ، أسرته خشنة جدا كأنها لم تفارق أفريقيا .

صــــوت ١ : يؤلمنا أن يحكمنا رجل نحتقره .

صــــوت ٢ : بضربة تقضى على المصحفى ، يتلقى البربر درسا جيدا ، أولئك البربر المتغطرسون الحمقى مثلما كانوا عليه من حوالى قرنين ونصف حينما قدموا إلى الأندلس .

المنصــــور : إن أسركم – وأسرتى – وصلوا إلى الأندلس بعد قليل من وصول أولئكم .

صــــوت ٢ : نعم . لكن ليس مع طارق : بل مع موسى ، نحن عرب بلديون ، لسنا بربر .

المنصــــور : (يظهر الالتزام بالأمر) علينا أن نتعاون مع الجيش ، علينا أن نتعاون مع القائد غالب ، سيفعل ما يمكنه لو ألحفتم كثيرا

(القصر الملكى)

المنصــــور : يتكاثر النصارى ياأورورا ، يهاجمون الثغور ظانين أن الخلافة واهنة ، من أجلك ومن أجل ولدك أنا مستعد لصنع أى شيء يا حبيبتى، دعينى أذهب لقيادة فرقة .

صــــبح : لا يا أبا عامر ، لا أريد مخاطر ، إن مكان وزير هو قرطبة هنا ، والحرب من شأن غالب

يقررها من مدينة سالم حيث هو .

المنصور : اسمحى لى أن أذهب أنا ، وأن أكون الذى يطمئنك .

صبح : فضلا عن أن المصحفى يقول إنه ليس لديك خبرة بالحرب مطلقا ويستلزم حشد فرقة تكاليف جساما .

المنصور : ياله من بخيل لئيم ، مهما كانت التكاليف ، أتكون حمايتك وحماية الخليفة غالية ؟ من الحسن والحرية أن نحكم أنت وأنا يا أورورا دون وجود المصحفى الممل ، مُريه أن يصرح لى أن أذهب إلى الحرب ضد النصارى بجوار غالب .

(فى مدينة سالم)

المنصور : عندما رأيتك تحارب فى أفريقيا ياغالب أدهشتنى ، لم أتطلع إلى شىء سوى أن أكون بجانبك ، أحارب تحت قيادتك ، وأن أتعلم فى معركة ضد أعداء الإسلام .

صوت غالب : شكرا لك أيها الوزير ، من الذى كان يظن أن ذلك الإدارى الصغير أوانئذ سيتحول إلى عمود رايتنا ، راية لا تبقى ساكنة فى قرطبة ، يرتعد ، بل إنه يخاطر فى الوصول إلى هنا .

المنصور : (يتأمل المنظر) يالها من أرض مختلفة : نظيفة باردة ، متميزة ، لرؤية العدو يكفى الصعود هنا لنكون أعلى منه ، وفى قرطبة فالعدو – مع ذلك – هو الذى يكون دائما فى المحط الأعلى ، ما رأيك فى المصحفى أيها القائد ؟

صوت غالب : إذا كنت تتكلم عنه ، فليس غريباً لدى أن تقول إنه فى المحط الأعلى : إنه أكبر متسلق أعرفه . لو منحنى مكافأة خدماتى كما منح هو نفسه لم أكن ذلك القائد البائس ، لكن آه ! فإن رسوم الخدمات يقدرها هو لا أنا .

المنصور : كيف يرى الجيش تغييرا فى الحكومة ؟

صوت غالب : كما يراه الخليفة ووجوه الناس .

المنصور : سأكون فخورا أن أطيعك مثل أحد جنودك .

صوت غالب : تقدم (ضجة معركة) .

(فى مدينة الزهراء)

صبح : مرحبا بك يا أبا عامر ، أحبك أكثر من أى وقت ، لم يدر بخلدى مطلقا أن تكون كذلك بطلا . من كان يظن أن رجلا من سياسى البلاط يعرف كيف يغنم معركة ؟ قرطبة توليك حبها ، وإننى أغار منها .

المنصور : أمامك ياسيدتى ، وأمام هؤلاء الحشم أنصب نفسى مديرا لمدينة قرطبة .

صبح : بيد أن هذا المنصب يشغله أحد أبناء المصحفى .

المنصور : لهذا ياسيدتى . وقد علمت أن أسماء بنت القائد غالب طلقت من الوزير ابن حدير ، أريد أن ألتمس يدها لى .

صبح : لكن غالب قد منحها إلى ابن المصحفى الآخر .

المنصور : لهذا ياسيدتى !

صبح : زوجا أخرى أبا عامر ؟

المنصور : سأستعملها لإعلان حرب لن أستطيع أن

أشغل قلبى بها لأنه مشغول بك (تبسم صبح) المصحفى لا يتعاون معه أحد الآن ، إنه يقف وحده . الجيش يفضلنى أنا ، ووجوه الناس فى قبضتى ، يريدون أن يتبوأوا – فى جنون – المناصب التى لا نهاية لها والتى قلدها المصحفى ذوى خاصته .

صبح : افعل ما بدا لك أبا عامر .

المنصور : (يطرح فيلا) المصحفى ياسيدتى .

صبح : لم يبق غيرك ، لقد أصبحت صاحب كل شىء .

المنصور : حتى الآن . لا ، ياحبى ، حتى الآن لا .

(عند المحراب)

صوت ٤ : إننى هشام الثانى ، خليفة قرطبة أمير المؤمنين – رضى الله عنه – أريد أن أمنحك – هدية زواجك – لقب الوزير الأول الذى يفخر بحمله فقط أبو زوجك أسماء ، غالب الشجاع ، وأن أقلدك منصب الحاجب الذى شعر بخيانة المصحفى الخائن (يسجد المنصور باسما)

(داخل دار المنصور)

صوت ٤ : الذين شلهم سقوط المصحفى يوجهون التهمة إليك يناصرهم بعض الصقالبة الذين أغضيتم عنهم ، ومئات من المسلمين المارقين ، أما الفقهاء فإنهم لن يدافعوا عنك لاعتقادهم أنك غير مؤمن صالح .

المنصور : عندما تقطع شجرة لابد من الإتيان على جذورها الغائرة .

صوت ٤ : أسوأ ما فى الأمر أن شكاواهم هاته ينظمها شعرا الشاعر الرمادى ، والأهاجى حين تنظم تكون قوية الإيقاع ، وتبقى محفورة فى الذواكر .

المنصور : (أمام الشطرنج) ليشنق جؤذر الذى وهبته حياته منذ ثلاث سنوات (يشرع فى رمى قطع الشطرنج) ليكون عبرة للمتآمرين ، وليقصى كل الرؤوس ، وليقتنع الفقهاء أن المخالفين لى يهاجموننى ليس لأننى غير مسلم صالح ، بل لأننى سنى مدافع عن المذهب المالكى . وأن ينتقى وفد منهم –

من بين الأربعة آلاف مجلد تضمها مكتبة
الحكم – بعض المجلدات التى يعتقدون أن
بها هرطقة وإلحادا وأن تحرق . أو ليتحول
المتآمرون إلى تآمر دينى وليس سياسيا .
وبالنسبة للشاعر – وهو صوت الشعب –
بينما أحاول أن أحمسه للتغنى بفكرة
أخرى ، فليسكت : بالدينار أو بالنار
حسب الذى يريده وأنا – فى ساعات فراغى
– بجودة خطى المعهودة سأنسخ القرآن
ليكون هذا الانشغال الورع تجربة ونموذجا
لكل المدينة هكذا أتذكر أيام كنت
كاتبا (يتهيأ حقيقة للقيام بهذا) إن
السلطة فى يدى الآن ، ويبدو لى أن الحفاظ
عليها أشق من السعى فى سبيلها

(لوحة الشطرنج تتضح فى الظلام)

المنصور : سيكون من المناسب أن ينشغل المرء بالقطع
المتناقضة ، إذا كانت هناك واحدة لم تكن
متناقضة ، الذى لم يولد حاملا لقب ملك
ويود أن يكون له فعليه أن تكون يده سخية ،

وضميره نقيا ، وأن يحرز نصرا فى الغزوات ، سأغزو غزوتين كل سنة ضد النصارى ، ليس لأنهم نصارى ، ولا لأن جيوشى مبتلاة بهم ، ولا لأن أمراءهم يحارب بعضهم بعضا مثل الذئاب ، بل لأننى فى حاجة إلى النصر عليهم كل خمسة أشهر أوستة ، كذلك فى حاجة إلى أموالهم ، للحفاظ على قرطبة سيدة وجميلة وهو الشيء الذى يستدعى تكاليف باهظة فى هذا العالم (موسيقى حربية) سنبدأ بالثغر الأوسط (حصن غرماج - إيقاع خطابى) من هذه السفينة الراسية فى بحر قشتالة نرحل لمحاربة أعداء الله . هذا سيف نهر دويرو الفضى لابد أن يرانا قافلين فى رداء المجد ، محاطين بالأسلاب والعبيد ، هذه السفينة هى التى اختارها الله للوقوف على أعلى مكان ، هنا مفتاح النصر ، هنا طلسمه . أرى من حبل شراعها عالم الله اللانهائى الذى أهداه إلينا ، فلنأخذه ، لأن

القـدر ينبـسط انبـسـاط السـمـاء فى أيدى
الأقـوياء ويتـضـاءل تـضـاؤل الصـل فى أيدى
الضعفاء ، النفير أيها الجنود ، اغتنوا بأموال
الأعادى ، والـتحـفـوا بالمجد وخلود الـذكـر ،
تحيون بقـدر ما تقتحـمون الموت ، فإن الذين
يموتون يدفنون بملابسهم ودمائهم ، دون أن
يغـسلوا ، يجـيـئـون وأفـواه جـراحـهم يوم
القيامة ريحها ريح المسك (في نغمة ذاتية
كأنه يخاطب نفسه) كيف يُسمع الصمت ،
لا أريد أن أسـمع شيـئـا ، أى شىء ، أى
شىء حتى جرسا ، أو عصفورا ، أو رياحاً ،
أريد أن أسـتـمع إلى الصـمت فـحـسب ،
الذى يسـبق الضـجـة ، القـعـقـعـة ، فـزع
الحرب .

(ضجة حرب تنهيها موسيقى من البلاط)

(غرفة من القصر)

صـــبح : هل قـررت شيـئـا ياحبى بالنسـبة لتربيـة
ولدى ؟

المنصـــور : انسىْ هذا ياأورورا ، سـأسـهـر على رعـايتـه

ورعايتك ، فليضحك وليلعب ، وليصل ،
وليتسل مع حريمه .

صبح : لكنه مازال صبيا بالنسبة للنساء .

المنصور : من أجل المتعة ليس صغيرا جدا ، يا حبى أنا ، لكن من أجل التعاسة والموت نعم . إنه ولد ملكا ، فلندعه يكونه على أفضل طريقة ممكنة ، فليملك ، وليتركنى – ليتركنا – نحكم . إن الحكم هو الوجه المر لعملة الحكم الذهبية .

صبح : لست واثقة يا أبا عامر .

صبح : إن الملكية يا أورورا مصادفة : وأنت – كما كنت أمة تعرفين هذا أكثر من أى شخص آخر – تدركين أن السلطة قدر ، وهى قدرى ، فدعينى أكمل هذه الرسالة .

المنصور : ألا يبدو لك أن هذا تحد أن تبدأ فى بناء مدينة الزاهرة فى الجانب المقابل من قرطبة حيث توجد مدينة الزهراء مدينة الخليفة ؟ إننى لست أفهمك أبدا يا أبا عامر .

صبح : الذى يمارس الحكم عليه أن يتمتع بالاستقلال .

المنصور : لكن الشعب ، وأصحاب الدعاوى ، والوزراء ، ودواوينهم والسفراء سيتركون مدينة الزهراء ماضين إليك .

المنصور : هذا أفضل بالنسبة لهشام ، هكذا فى ذرعه أن يستمتع فى هدوء بكل مدينته ، كما أتمتع الآن بك .

صبح : انتظر .فإن غالب أيضا يشكو من تلك المدينة ، مرتئيا أن مدينة هى كثيرة بالنسبة لحاجب فقط .

المنصور : بئس الحقد ميزانا ، إن حمى من الذين يدافعون عنك ، لكن حين تكونين فى المنحدر فقط .

صبح : والجيش النظامى الذى كونته يا أبا عامر يهينه وهو قائد الجيش الآخر .

المنصور : جيشه قد انتهى ، لديه بعض فرق يابسة وهشة يسير على النظام القبلى ، على حين انتهت القبائل بواشجة الدم ، حين يسفك

الذاهب إلى الحرب دمه ، من اللازم أن يجدد كله وأن يصلح كله ، فالجنود المسرورون والمدفوع لهم جيدا لا يقهرون يا أوروا ، عليّ أيضا أن أصلح غالب .

(فى قمم أتينشة)

صوت غالب : محمد بن أبى عامر خائن بنى أمية ، وإننى – غالب – أتحداك أمام الله لأبرئ دينى ، وشعبى والخليفة الذى أسرته من حكمك المخادع (يخيم صخب حرب على المنظر ، ثم يهمد) .

المنصور : أطيحوا برأسه ، وابتروا يده اليمنى ، ولا تقربوا خاتمه واحملوه فى صندوق إلى الزاهرة ، وسلموه إلى زوجتى ، ابنته فإن الله هو المحيى وهو المميت (يطرح الفيل من فوق مائدة الشطرنج)

(القصر الملكى)

صبح : يعرفونك فى قرطبة بالاسم الذى قلته لى يوما ما : أبو عامر المنصور .

المنصور : المنصور بالله منذ الآن فى كل الصلوات ،

وفى كل المآذن ، سيذكرون اسمى إثر اسم ولدك ، وفى تشريفات مجالسى سيكون اسمى مثل اسمه ، وسوف يقبل الأشراف يدى ويدعوننى مولانا .

صبح : (فى صوت خفيض) السيد . . .

المنصور : الخليفة الشاب منذ الآن فصاعدا سيقتصر على أعمال الورع ! لن يخرج من القصر (جلبة معركة) علىّ الآن أن أنشغل بالقونت فى قشتالة ، وبملك بنبلونة للذين انضما إلى غالب ضدى (تأخذ قطع الشطرنج البيضاء فى السقوط) سيمانكاس ، روطة ، ليون ، استرجة ، ناخرا ، بنبلونة ، برشلونة ، قويمبرا ، سان استيبان دى غرماج ، أوسما . . . (من جديد فى القصر الملكى) سأتزوج ببنت ملك بنبلونة ، شانجه غرسى الثانى .

صبح : لماذا ؟ أليس لديك ما يكفى من الذرية ، ومن النساء ؟

المنصور : لا يسرى أبدا دم ملكى فى عروق الأبناء بما

فيه الكفاية (تشتد جلبة المعركة)

(خارج المسجد)

المنصـــور : آمر بتوسعة المسجد كى يتسع لكل المصلين ، فإن سكان قرطبة قد زادوا واطردت كذلك زيادة المعتنقين للإسلام ، وسوف يساعدنا النصارى طوعا أو كرها فى تحمل التكاليف .

(القصر الملكى)

المنصـــور : قد خلعت لقب وزير على ولدى عبد الرحمن .

صـــبح : إنه فى عامه الثامن فحسب .

المنصـــور : حين كان ولدك فى الحادية عشرة كان خليفة .

صـــبح : وزير يلقبه الشعب بشنجول .

المنصـــور : جده هو شانجة ، ملك نابارّا .

صـــبح : لكن أب ولدى كان خليفة ، الأب والابن

(ضجة معركة)

المنصـــور : سأبنى بتيريسا بنت برمود الثانى ملك ليون

صـــــــبـح : لماذا ؟

المنـصــور : لأننى محتـاج أن يدفع النصارى الجزية لى (تهوى أخريات قطع الشطرنج البيضاء)

صـــــــبـح : كـفى . أشـرع الآن فى اسـتـرجـاع نـظرى وذاكرتى ، سأتحدث مع ولدى .

المنـصــور : سأتحدث معه أولا ، (يلقى بملكة الشطرنج السوداء فى الفضاء) لا تـخرج السيـدة من حجراتها دون إذن منى (يتوجه إليها) فى ذرعى أن أقتل ولدك – لن يخسـر شيئا – لكـن ، لماذا ؟ سـأنتظر مـوتـه ، وسـيكـون أولادى إذن هـم الخلفـــاء (يلقـى بالملك الأسود) .

صـــــــبـح : ألم نكن كلنا آلات فى يدك يا منصور ؟

المنـصــور : كنت حبيبة ، وأنت الآن شريكة فى جريمة يستغنى عنها .

صـــــــبـح : ألا تخشى أن تكون آلة فى يد أخرى أقوى منك ؟

المنـصــور : هذا يقرره النصارى : يدعوننى سيف الله ، معتقدين أننى المهدى – الذى يجىء قبل

نزول عيسى – جاء يجاهد فى الألف الأولى التى يزول العالم بزوالها ، إن لديهم تقويما آخر غير تقويمنا .

صبح : احترس أن تنتهى أنت .

المنصور : على كل حال سأحمل لقب السيد ، الملك الكريم ، سيدعوننى « صاحب الجلالة » وأكون « الملك العظيم » .

صبح : ستكون يامنصور إلى الأبد نموذجا للقساوة .

المنصور : ليس الحكم أن تغمض العيون ، وتسد منافذ الرحمة ، الحكم – فى بساطة – لابد أن يمارس ، وأن تذلل له العوائق التى تجابهه . الحكم قدر صعب .

صبح : منافق !

المنصور : ليس صحيحا . محبرتى ، وقلمى : كانا ما لدىّ . وهو ما بقى فوق المائدة الآن . (فى الواقع ، هوت كل قطع الشطرنج ، يضع المنصور فى وسط المائدة محبرته القديمة .

ضجة حرب) قشتالة ، ناباراّ ، جليقية ،
حتى شانت ياقب دى كومبو ستيلا ، لا
تقهر ! حتى محج النصارى المأسورين
عليهم أن يحملوا أجراس كنائسهم ، وكل
أبواب مدينتهم إلىّ . إننى فى حاجة إلى
قناديل أضعها فى الجزء الذى أضفته
للمسجد ، أحتاج إلى خشب جاف لأغطى
السقوف (تهب ريح عبر بهو البرتقال ،
يدحرج قطع الشطرنج ، ترتجف عبر شوارع
الذويلة الخالية فى قلعة النسور ، الحصن)
لا أحد ، لا أحد . . . بسبب شراهة
النسور منذ القدم امتدت تلك البطحاء ،
من أجل نهم النسر ومن أجل النملة . آه .
أيها الوادى الأخضر الذى خلق للهزائم
(ميدان أسلحة ، ناظرا إلى أعلى من فوق
برج المجد) ما أشد علو السماء ، وما أضآلها
الآن !!(يهذى ، يدعونه يسقط فوق
النعش) احملونى إلى مدينة سالم .
(يظل يتمتم حول تغير المناظر) ، كفنونى

في ثوب قد غزلته بناتي من كتان اشتريته من مالي الحلال : الذي بعت به أرضا كان تركها لي آبائي ، وغطوا جسدي بالغبار الذي جمعته من فوق دروعي في المعركة خلال خمس وعشرين سنة ،كي يشفع التراب للتراب أمام الله . عبد الملك ياولدي أنت تخلفني ، فلا تثق بمن يخاف ، واخش من يخشى ، وعاجله بالعقوبة ، وخرّج ذكورهم باستخدامك ، وألحف إناثهم جناحك ما استطعت ، ولا تخرج من قرطبة الجميلة ، لكن حين يعتاص أمر فحله بنفسك ، وإن خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك إلى بعض المعاقل التي حصنتها لك ، واختبر غدك إن أنكرت يومك ، وليحفظنا الله . (الريح التي ما تزال تهب تقلب المحبرة فوق رقعة الشطرنج يلوث المداد مربعات مائدة الشطرنج الخالية) .

قصــر
إشــبيلية

بـــــــــدرو : بعـد قليل تبـدأ الأزهار تفـوح ، بيـد أنى سـأكـون تحت الثـرى . بعـد قليـل سـتـزهر الورود . . . ربما تـكـون هى الـورود ذاتـهـا التى رأتنـا نصل إلى هنا منذ خـمـس عشـرة سنة ، عنـدما لم يكـد يتم أحـد منا – نحن الاثنين – عشـرين ربيعـا » . . لعلهـا الورود ذاتهـا التى رافـقـتك إلى حـيـث أنت الآن : إلى هذا المكان الذى سـكـت فيـه عن الكلام ثـمانى حـجـج . . . سيـزدهر البسـتـان عمـا قليل ، لكـن ليس لأجلى ؛ لأننى سـأذهب باحـثـا عنك ، تاركـا الزهور والورود إلى الضـفـة الأخـرى من الربيع . . . فى ليـون اكتشفت عينيك الواسعتين . قبلتهما لأول مرة فى سـاهاجون ، وفى قرطبـة أطبقتهـمـا قائلة لى . .

مـــــــاريـا : إنها بُنَيَّةٌ يا بدرو . ماذا سيكون مصيرها ؟

شـــــــاب : سـتـكـون ملكـة على عـرش عظيم مـثلك يا ماريا .

مـــــــاريـا : فليـجـعلهـا الله على ضـرب آخـر . . . لأننى

أمام الملأ لست سوى حظية الملك .

شـــــاب : سيحين الأوان الذى تنصبين فيه ملكة الملك .

بـــــدرو : جعلت الحرب كل شىء ضد حبنا ، أمى ، والنبلاء والمشير البوركيركى وقلق إخوتى ، النغلاء ، والجوار مع فرنسا . . . لقد زوجونى بالقوة ببلانكادى بوربون . . . كانت ابنتنا بياتريس لا تكاد تتم ثلاثة أشهر ، وكنت أحث الخطى نحو بلد الوليد والغبار – أو لم يكن الغبار – يحرق فى عينى . أما أنت فقد بقيت فى مونتلبان مع الصغيرة بين ذراعيك .

مـــــاريا : الآن عرفت حظ حظية الملك دائما .

شـــــاب : (فى ارتجافة) سيحين الأوان الذى تنصبين فيه زوجتى .

بـــــدرو :كان شيئا كالمزاح . . . زوجونى ببلانكا دى بوربون . لم أقل أنا ولا أحد غيرى إننى كنت متزوجا . . كنت جبانا . كنت جبانا معك إلى حد كبير يا ماريا دى باديا . ما

اشتكيت أبدا ، لقد عرفت كيف تنتزعين البسمة من خلال الأسى . . جعلت الحرب كل شيء ضد حبنا ، إننى كنت الأول يا ماريا . . . لن يتأخر الربيع كثيرا . لكن لن يعنيني ذلك . فاليوم أودع إلى الأبد هاته الحجرات ، مخدعنا ، العارى مثل الأثاث مثل فؤادى . . . أودع هاته الغرف حيث حاولنا بالقوة أن نكون سعداء : يافعين تماما ، ووحيدين تماما . . لقد هويتك أكثر من أى شيء آخر فى هذا العالم . مثلما هويت قشتالة . . وبعد الحب ، ما يبغيه المحب هو أن يشهر حبه ، لكن لم يكن ممكنا . إن حبك وسره الذى اكتنفه كانا يعذبانني مثل قشتالة . . زوجوني بالقوة ببلانكا دى بوربون بينما كنت أقول : نعم في عقد القران ، كنت أفكر في عينيك . الفاجرون الكبار انريكى تراستمارا ، وفديريك رئيس الرهبانية الحربية فى شانت ياقب كانوا يبتسمون ، هذا المساء قد وقفت على السيب . . .

الشاعر الجوال : يقول الناس دون أن يعرفوا الحقيقة .
إن الملكة حبلى
من الرئيس الحربى لرهبانية شانت ياقب
دون فديريك دى قشتالة .
وآخرون يقولون إنها نفساء .

بلانكا : آه ! من حظ الملكة السيء
أسوأ من أخريات زوجونى بالملك
لأجل كارثتى
فى ليلة زفافى
لم أر ليلة تماثلها .

بدرو : أى حقد يكنه أولئك الفاجرون ! لقد سلب منى انريكى عندما أتم خمس عشرة سنة خطيبتى الأولى . خوان مانويل فى هذا القصر وفديريك حينما كان يصحب من فرنسا الأميرة ، بلانكا هتك عرضها . . . إننى أشكره على نحو ما : ففي اليوم الثانى من الزواج كنت بين ذراعى . . لكن سلامنا لم يتم عاما واحدا . هنا .يودع أحدنا الآخر .

ماريا : إن قشتالة تصيبنى بالسأم . لست أريد أن

أظل بينك وبين قشتالة . فأمام أعين الناس بلانكا هى زوجتك .

شـــــاب : لكنك زوجتى أمام الله .

مـــــاريا : إن الله قد حوّل عينه عنى . . . فلننفصل يابدرو، سأدع القصر : هذا الهواء ، ووخامته ، هذا العبق الدائم الذى يفوح برائحة الزهر ، وهذا الظمأ الخالد . .

شـــــاب : إننى أحبك ياماريا وأنت تحبيننى .

مـــــاريا : الملوك لديهم مشاغل جمة . قشتالة حانقة بسببى . إنك تخيب أملها ، فارجع إليها .

شـــــاب : وأنت ؟

مـــــاريا : سأختفى . فى دير أستوديبو ثمة مكان شاغر ومن هناك سأشاهد الأرض جرداء وهو منظر كدت أنساه . . لحب كبير مثل حبنا تكفى سنتان . . (يرتجف صوتها) لقد أراد الله أن تعرف قشتالة الدم الذى تجشمته . . لا تقترب منى . . وداعا . . لا . لا تقترب شفقة وإلا فلا أقوى على المضى

وداعاً ها لن يعرف أحد أننى كنت زوجتك الحقيقية .

بـــــدرو : قبلت مرة أخرى تضحيتك ، لأن القسم الفاسد من قشتالة يحتم ذلك . لكن إلى بلانكا دى بوربون لن أستطيع العودة ، البوركيركى وأعداؤه الفجار تحالفوا ضدى . لقد تجمعا حول بلانكا . وكان اسمها مجرد تعلة ، ما كانوا يبغونه هو السلطة التى كنت منحتها إلي أقربائك ، مريدا بذلك كشف لعبتهم القذرة : أعلن أساقفة شلمنقة وأبيله أن زواجى ببلانكا باطل ، فاخترت زوجا أخرى هى خوانا دى كاسترو ابنة خالتى كانوا يلقبونها « الجميلة » كانت أخت إنيس دى كاسترو التى عذبت كثيرا عمى بدرو دى برتغال : إنيس كاسترو التى شابهت حياتها كثيرا حياتك أنت . . فى ذلك الشهر مايو ، ولم يكن مايو بالنسبة لى تزوجت فى كويار وعند عتبة باب الكنيسة تركت قلبى كأنه شيء زائد . .

وبعـد بضع سـاعـات ، ووشـيكا أنبـأنى جـوتيرث دى ثيبايوا أنـه مسار تاريخى فى طريقـه إلى تغـيـير ، ففى ريبـاد يكايا تآمـر الفـاجرون ، وحـاجبى القديم ، وكثيرون من النبـلاء والمتظاهرون بصـداقـتى ، وإخـوة زوجـتى الجـديدة أنفـسـهم على اجـتـيـاح قـشـتـالة وعلى خلعى ، وأولئك الذين أسديت إليهم من الفضل لكى تهدأ المملكة قد باعونى . إنـهم ناسك المأسـورون . وأنت مـهـجـورة ووحـيـدة ، رفـضك كـان دون جدوى . قبض الريح أساك وندامتى . . . دون قناع يتـواجـه الطمـوح والحب ! لقـد كنت الملك ، وكنت أهواك . . . تركت خوانا دى كاسترو متزوجة أو لأنها زوجة وعلى حـافـر الخيل مـسـرعـا ذهبت أبحث عنك .

شــــــاب : مـا يجـمـعـه الرب لن يـفـرقـه الإنسـان . أنا وأنت إلى الأبد ، والآن سوف تدرى قشتالة – بالقوة – من الملك .

بـــــــدرو : اليوم أنا أودع القصر هذا ، لا أميز مسافاته
بدونك . عما قليل سيفوح العبق فى فراغ :
لا أنت ولا أنا سوف نحس بعبقه السكران
الخفى . . . إننى أودع اليوم المكان الذى
كنت أؤوب إليه بعد المعارك . ذلك المكان
الذى كنت تعزيننى فيه عن عداوات قشتالة ،
ذاك المكان الذى كنت تنسيننى فيه أسماء
هاتيك النساء العابرات وببسماتك كنت
تقصينهن عنى ، ياصاحبتى ماريا دى باديّا
واليوم ملولاً مكروباً ، أنثر ذكرياتى ؛ لأنها
كلها تكرب حاشا ما تشاركيننى منها . . .
ياله من نفق فظ ، ياله من نفق طويل . أنظر
فيما حولى فلا أرى سوى خيانات ، حتى
أمى خانتنى . . بكسرة من الخبزتحملها
إصبعاى كنت أستطيع أن أشبع كل رجالى
الأوفياء فى قشتالة . . آه . حزين ، حزين ،
فظيع ومحزن أن تكون ملكا لأنك ولدت
ملكا ، وأن تقيم العدالة دون أن تدرى أين

هى ، وأن تعتبر أعداء المملكة أعداء لك .
.. وأن تكابد دائما الهواجس فى أن تدع
كل شيء ، وأن تستسلم ، وأن تترك كل
شيء ، وأن يقصى عن الرأس العرش الخانق ،
أن تخلد إلى الراحة فى أحضان من تحب . .
كم هو قاس ومعتم ذلك النفق ، مصير
الكبار ، لأن عليهم أن يكونوا كبارا فوق
كل شيء ، لأن الصغار يريغون منهم تلك
العظمة . . ، خلال أعوام كثيرة كل شيء
كان مرجل غدر . . حرب فى قشتالة ،
حرب مع أراجون . قيد اسمي خارجا عن
الكنيسة ، استدعى الأجانب لحل نزاعات
عائلية . آه . حزين ، حزين . . . تراتامارا ،
العاهر يتطلع إلى عرش أسلافى ، يهدهد
راشيا النبلاء الذين يرون فىّ سوطهم لأن
سلطانى كان عليه أن ينتزعنى من عينيك
ياماريا ، وأن أحكم . . أمامى ، ليس إلا
مواطنون دون مدلول للطبقة ولا للغنى :
النبلاء والشعب : الكل سواء دون مدلول

دينى ، مسلمون يهود ، نصارى . . .
كلهم يصنعون المملكة . . محو الامتيازات المساواة ، المساواة ، إزاحة القناع عما يختفى وراء الشفقة الزائفة ، والحماسة الكاذبة . . حزين حزين . . . إننى أرغمت سدى أن أصنع بالرحمة ما يجب صنعه بالحديد . وأن أصل إلى النتيجة هى أننى عليّ – فى قشتالة – أن أراوح بين الاستبداد والفوضى . خداعات ، تزييفات شبكة من الشكوك حول النفس ، لقد علمونى الحقد .
آه حزين حزين . عما قليل ستبث أشجار البرتقال عبيرها بيد أنى لن أراه ، فى النهاية سأغمض عينى عن هذا العالم الذى ما فهمته جيدا . . .

أرجوحة من الخيانات وضعت العاهر فدريك إلى جانبى – ظاهرياً فقط – ضد أخيه انريكى الذى تحالفه أراجون كنا فى هدنة ، نتكلف سعادة ما شعرت بها ،

استولى فديريك علي خوميّا باسمى ، ممزقا
بذلك الهـدنة . . وكنت أنا قـد شـتتّ
جيوشى . . . استدعيته إلى القصر . .
كان ينبغى الانتهاء . . وفى هاته القاعة
وثقت فى حكم ابن عمى أمير أراجون . .
وأنت ياماريا ، فى هذه القاعة رأيت عينيك
الجميلتين مغرورقتين بالدموع . كنت أعبد
عينيك . . والأمير بعد عشر حجج تلقًّى ما
يستحقه ، عرض أن يقتل بيديه فديريك .
. كأنه لا يوجد جنود . حزين جد حزين .
. . كنت ألعب هاته الليلة الدامـة وصل
فديريك فى صحبة أخيك رئيس رهبانية
قلعة رباح المسلحة ، كان الاثنان ينكتان .
وأنا أمرت صاحب الصولجان . . .

شـــاب : لكن يـالوبث . اقـبض على رئيس الرهبانية .

لـوبـث : أيهما ياسيدى ، صاحب سانت ياقب أم صاحب قلعة رباح ؟

شـــــــاب : صـــاحـب سـانـت يـاقـب ، الأخ رئيس الرهبانية . من الحتم أن . .

بـــــــدور : كـان فـديريك ينظر إلىّ ، فـأطلق منى ، ودافع عن نفسه ، لكن ذباب سيفه اشتبك في دثار رهبانيته الفضفاض . .

شـــــــاب : اجهزوا وانجزوا !

بـــــــدرو : كان يتفادى الطعنات ، ويتجنب الضربات ، إلى أن طرحه أرضا أحد المسددين . . كان يسمع نشيجك بينما كانت فراشة ليلية تلوب بين شظايا الخشب ، وكانت الورود فاغمة . كان الجو حارا . . وكان فديريك يتململ . . رأيت بركة دمه ، من دمي تنمو فوق المرمر . . حزين حزين دون أن أودعك لئلا أنظر في عينيك ، ركبت فرسي ، وهجرت أشبيليه . . كانت أشجار البرتقال آنئذ تفوح . . وسوف تفوح أيضا . . لكني سأذهب للبحث عنك وراء عرف البرتقال والزهور في ضفة الربيع الأخرى ،

لماذا صنعت هذا ياماريادى باديا . كنت ذات خمس وعشرين سنة فقط ، كنت رقيقة وعذبة ، كانت عيناك تضحكان قبل أن يضحك ثغرك ، كانتا تهدهدان رأسى مثل طفل صغير ، وقد نسيت الدم الذى كان ينزف من الجرح ، الأحلام الرديئة ، الكوابيس التى كانت تغمر ليالى مخاوفى . . . إنك كنت شطر روحى ، الشطر الأحب من روحى ، لماذا فعلت هذا ؟ قولى لى . ذات يوم من شهر يونيو استلقيت فى فراشك ، شاحبة ، مرتجفة . . .

ماريا : فليفتحوا الباب فالجو حار .

بدرو : كان الباب مفتوحا . .

ماريا : لا شىء يرى ، لقد اكفهر الجو بسرعة .

بدرو : كانت السماء صافية ، وشمس الظهيرة تتسلل ، وعبق الورود الفاغم .

ماريا : لا شىء يرى . . .

بــــــدرو : كنت أنظر إلى عينيك ، عينيك الجميلتين ، كانتا طائرين أجنحتهما مفزعة .

شـــــاب : ماريا .

بــــــدرو : لم تسمعيني .

مـــــاريا : دائما كنت أحبك ، وإلى الأبد سأحبك .

شـــــاب : لا . من الضروري أن يعرف الجميع أنك زوجتي . انتظري ، لا . من الحتم أن تعرف قشتالة من هي ملكتها . . اسمعوا اسمعوا . ماريا دي باديا هي ملكتكم ، وابنها ألفونسو هو ولي العهد ، وبناتها هن أميرات قشتالة . . (في نشيج) ماريا هي ملكتكم . . .

بــــــدرو : لم تسمعني أبدا ماريا دي باديا ، كنت ميتة ، لماذا صنعت هذا ، لماذا ؟ لقد جمعت مجالس عامة لأعلن في جلال أمام الدول الثلاث أن زوجتي الوحيدة كنت أنت ، وناديت شهود العقد الشرعي أن يذكروا أنني اقترنت بك .

وبايع مجلس البلاط ابنك – ولم يكن أتم عامين – وليا شرعيا لعرش قشتالة . . لم تكونى أمام أحد حظية الملك كان اسمك مكتوبا فى القائمة المذهبة للملكات ، وابنتك بياتريس ستكون أيضا ملكة على عرش عظيم ، هل تذكرين ؟ من البرتغال : أمرت أن يحضروا جسدك فى موكب وأن يكون القداس مما يكون للعاهلات دفنت فى مقبرة الملوك فى الكنيسة الكبرى ، وأدى كاهن طليطلة طقوس جنازتك ، وقد جثا النبلاء أمامك . . متأخرا ، متأخرا ، جد متأخر . آه ، متأخرا جدا . . منذ وفاتك ، وكل شيء ردئ : كأنك لا تريدين قبول التكريم . . . حرب مع أراجون . حرب مع الفاجر ، دم ، مرة أخرى دم ، موت ولدنا ، لماذا ؟ لم تقبلى أن تدعيه فى قشتالة . . . والبرتغال ، عادت بياتريس عازبة حين رأت كوارث جمة .

إننى وحيد ياماريا ، لقد تركونى وحيدا

تماما ، احتل انريكي تراتامارا مملكتي . لوجرونيو ، سالفاتيرا ، بيتوريا ، وواضح أنني لا أستطيع الدفاع عنها ، ويطلبون مني أن أسلم نابارًا ، لقد أعطيت أوامري – في حالة الاضطرار إلى الاستسلام – أن يسلموها إلى الفاجر : قشتاله ، ليكن من يكون ملكها – لا يجب أن تتشعث . .

اليوم أودع إلى الأبد هاته الغرف . . . ولتبق بناتنا محصنات في قرمونة ، وأبنائي الذين رغبت فيهم ، لأرى إذا ما كانت الحياة متمسكة بي بعد أن رحلت أنت سأرحل إلى طليطلة إلى معركتي الأخيرة ، أدري أنني سأموت لكن هذا لا يعنيني ، أدري أن أخي انريكي سيقتلني ، وسيقبض على عنان قشتاله ، حسنا ، حسنا ، حسنا إنني مجهد : ورجل مجهد لن يكون على الإطلاق ملكا صالحا . . أفكر في أن السيف يشحذ لأصرع هنا . مرحبا ، وأهلا ، دم بدم ، وراحة فيما بعد ؛ هذا كل ما

أبغيه . . أطأ هاته الرخامات التى شاهدتنى معك ، أبارك هاته البلاطات ، وتلك الفنون . أبارك شمس فبراير . . أدع حبى هنا ، حيث عما قليل – ودون خلاف – تشرع أشجار البرتقال تفغم . . وداعا ، أيها القصر حيث استقرت فيه حياتى – فى عذوبة – ، أيتها الأبعاد التى سمعتنى أضحك ، أيتها المياه ، الفوارة ، الرقيقة ، أيتها الأشجار الأشجار العوالى التي ستظل تورق زمنا طويلا . بعد قرون حين يجىء أناس آخرون يزورون هذا القصر ، يعرفون قصة حبى الحزينة . . وداعا ، أيتها الجدران التى ضمتنى منذ أن كنت طفلا مثل طائر يتيم . . . إلى اللقاء الوشيك ياماريا دى باديا ، يا رفيقتى ، إلى اللقاء الوشيك جدا ، لأننى سأبحث عنك – فى عنف – بأسنانى وأظفارى ، بشهوات رجل حديث الزواج ، فى أى مكان تكونين فيه ، تحت زهور البرتقال ، وتحت الورود ، فى الضفة الأخرى من الربيع .

قصر الحمراء

مولاى الحسن : امض أيها المسيحى ، وقل لمن أرسلك إن ملوك غرناطة الذين كانوا يدفعون الجزية قد ماتوا . ومن الآن فصاعدا لم يعودوا يصنعون الذهب هنا . بل الحديد والسيوف من أجل الأعداء .

فرناندو : حسن ، بما أنهم قد أرادوا هذا ، فإننى سأنزع تلك الرمانة حبة حبة .

أبو عبد الله : منذ عشر سنوات فقط ، تحدى مولاى الحسن (أبى) بهذه الصورة ، وبهذه الصورة أيضا أجاب فرناندو (الملك الكاثوليكى) على هذا التحدى ، هكذا بكلمات قلائل يتحدد مصير . . عشر سنوات قصار تكفى ضد ثمانمئة سنة .

مريمة : فى ثمانية قرون . لم تسترح كل من قشتاله وأراغون .

أبو عبد الله : ونحن مع ذلك نترك أنفسنا يحملنا العبق شيئا فشيئا .

مريمة : لقد ولدنا هنا ، هذه كانت أرضنا ، هنا كنا نستمع إلى الأغنية الأخيرة ، من الذى

كان في وسعه أن يخبرنا أن الأمور تكون على هذا النحو ؟ : نغرس الفن والجمال مثل الياسمين والآس . ولدى شجر الرمان نطالع كتب العلم ، ونقبل ثغر المحبوبة : ثغرك يامريمة ، مثل زهر الرمان لم نفكر في أنه من خارج البستان يهيئ القدر لنا المدية واللحظة . . . فقدنا حياتنا في سبيل الرقة .

مـــــريمة : بسرعة فائقة بادلنا بخو ذاتنا عمائم مطرزة . وبسرعة فائقة نسينا أن السلام لا تحققه إرادة واحدة . . .

الشاعر الجوال : بينما كان يتجول الملك العربي

في مدينة غرناطة

من باب إلبيرة

إلى باب الرملة

وصلته رسائل

تخبره بسقوط الحامة

رمى بالرسائل في النار

وقتل الرسول .

أبو عبد الله : آه أيتها الحامة ، حامتي أنا كانت هذه هي

الحبة الأولى من الرمانة (غرناطة) من هناك بدأ الألـم . . ومنـذ ذلك الحين تخلت أمى عـائشة عن عرشها وتاجها لثريا المسيحية الأسيرة إيزابل دى سوليس . وقررت الانتقام . . . كنت أنا سلاحها ، تصديت لأبى ، سانده بنو السـراج ، تدفق دم بنى السـراج أكـثـر من ارتفـاع هذه النافـورة . . . كنت ابن عـشـرين سنة ، فى المسـاء كنت أسـمع ارتطام الصـرخـات فى أحـيـاء الصناعـة الشـعـبية مثل الطيور العميـاء . . وانبترت زهرة المحـاربين النصـريين هذا المسـاء فى هذه القاعة .

الشاعر الجوال : (متهما) قتلت بنى السراج
كانوا زهرة غرناطة
وجمعت المنشقين
من قرطبه
لذا تستحق أيها الملك
أن تعانى هما عظيما

أن تفقد نفسك وعرشك
وأن تسقط غرناطة

أبو عبد الله : لقد حبسنى أبى ، وحبس السلطانة عائشة ، وببراقعها وبراقع وصيفاتها أجبرنى أن أتدلى من البرج ، وفى البيازين بايعنى من بقى من بنى السراج ملكا ، حاربت أبى ، نزف الدم شآبيب في الشوارع . كل شيء كان مذبحة ، كان فناء ، كان مهلكة . الجار ضد جاره ، والقريب ضد قريبه .

الشاعر الجوال : بنو الصغير ، وبنو الجمل
وبنو الزرقى ، وبنو عوض الله
وبنو غز ، وبنو بورتليس
وبنو السراج ، وبنو معزو
والفخارون ، وبنو شيش
والفردقى ، والفرار
كلهم يبكرون ليغرقوا الفجر فى الدم

أبوعبد الله : أبى مولاى الحسن ، وعمى الزغل لاذا بمالقة

مــــــــريمة : . . . إننى أعبدك ياغرناطة ، وأنت يا أبا عبد الله . .

أبو عبد الله : أنت يامريمة ، وغرناطة الفضليان لدى ،
لذا وددت أن أخالط فرحة الحمراء : حاولت
أن أجعل من اسمى (أبو عبد الله الصغير)
اسما كبيرا ، حاربت النصارى . . .

الشاعر الجوال

من باب البيرة هذا
زحف الجيش اللهام
كم فيه من وجوه المسلمين
كم فيه من كمت الخيول
كم فيه من رماح مشرعة
كم فيه من بيض الصفائح
كم فيه من بزة العسكر الخضراء
كم فيه من جباب قرمزية
كم فيه من ريش وأناقة
كم فيه من فحول الخيول
كم فيه من حو الأحذية
كم فيه من أعصبة توشحه
كم فيه من مهاميز ذهبية
كم فيه من ركاب فضى

كان الجميع صناديد
عركوا رحى المعارك
وفى قلب هذه الكتيبة الجرارة
يمضى ملك غرناطة الصغير
ترمقه المسلمات من بروج الحمراء
يلبس عمامة مطرزة
فيها سطر يقول :
« طريقى الأثير هو الحب »
يربط القلنسوة والجبهة
شال أخضر
وبين ريشتين ذهبيتين
ريشة بيضاء مثبتة
فيها سطر يقول :
« نفس واحدة فى جسدين »
شال وعباءة
لونهما بنفسجى
بتطريز يقول :
« أنت شمس آمالى »
ناظرا إلى سيدة مسلمة

فى أبراج الحمراء
هى أمه الملكة المسلمة
تحدثه هكذا :
« ليحفظك الله ياولدى
وليحرسك النبى محمد » .

مــــــــويمة : لم يفدك شيئا ، كنت لا تزال تنظر إلى من باب إلبيرة ، وعند الخروج مرق ثعلب من أمامك . أطرحت النذير الشؤم يا أبا عبد الله ، وغدوت أسيرا فى لوشه . . .

الشاعر الجوال : (رسول) لقد خسر الملك الصغير
وانفض من حوله من كانوا معه
لم يهرب أحد :
فهم : أسير ، وقتيل ، وجريح
كانوا جموعا غفيرة
وأنا وحدى الذى تزودت
للإتيان بمحزنة جديدة
من البلية العظمى التى حدثت

مــــــــريمة : بقيت غرناطة بلا نور ، بلا نور ، والملكة

عائشة ، بلا نور ، وأنا . . .

الشاعر الجوال : يبكون ملكهم الصالح
الحبيب العزيز
يتظلمون إلى النبى محمد
الذى تخلى عنه
كل جواهره ترخص
فى سبيل افتدائه :
حتى حلى نسائه وخلاخيلهن
وأمشاطهن من الذهب الإبريز

الــــــراوى : (فى حياد يكاد يقاطع الشاعر) هذه هى شروط الفداء : يعلن أن أبا عبد الله معاهد وفى للملكين الكاثوليكيين ، يدفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألفا من الدوبلة الذهبية ، ويفك أسر أربعمئة أسير مسيحى ويستجيب بصورة دائمة حين يطلب منه أن تمر فى أراضيه قوات تذهب لقتال أبيه مولاى الحسن أو عمه الزغل ، وأن يحضر إلى بلاط الملكين الكاثوليكيين حين يستدعى . وأن يسلم ابنه وأبناء الأمراء

المسلمين رهينة لتوكيد الميثاق .

أبو عبد الله : قدر حزين أن تكون مأمورا .. لقد غدوت الآن سلاح النصارى ضد عمى الزغل – كما كنت قبل ذلك سلاح أمى ضد مولاى الحسن . . .

مريمة : أنا وأمك استقبلناك فى البيازين . . . واستغل أبوك هزيمتك ، فاستقر فى الحمراء . . بينما كانت الجلبة والطبول تحمس بنى السراج ، وكنت أفكر فى ولدنا وهو فى قصر قرطبة بعيد جدا ، يبسط ذراعيه فى الظلام باحثا عن أمه . . . دون جدوى .

أبو عبد الله : وأنا لكى أحقن دم شعبى النازف قبلت المشاركة ، ونأيت عن ألمرية ، وللمرة الأولى انشطرت مملكة غرناطة شطرين ، واقتلع الشجر . . .

الشاعر الجوال : ألورا ، أيتها القريبة
الواقعة بجانب النهر
لقد اقترب منك السابق
فى أحد صباحات الأحد

ترين مسلمين ومسلمات
هاربين إلى الحصون
المسلمات يحملن ثيابا
والمسلمون يحملون دقيقا وقمحاً
والمور يسكيون الصغار يحملون
الزبيب والتين

أبو عبد الله : ألورا ، شنتيل ، فوين ، قرطمة ، رنده . .
تنازل مولاى الحسن عن العرش يائسا من
عمى الزغل .

مـــــــريمة : كان يعيش الزغل فى الحمراء ، ونحن مرة
أخرى فى البيازين . . .

أبو عبد الله : والآن غرناطة التى كانت مشطورة
شطرين .

أبو عبد الله : كل مساء ، ناظرا إياه ، كنت تحلم أن تعود
إلى هذا القصر .

الشاعر الجوال : رحل الملك من قرطبة
وكذلك ملكة قشتالة
فى عام ستة وثمانين
وأربعمائة وألف

ومعه زهرة الممالك
وكوكبة عظيمة من الفرسان
فى طريقهم إلى لوشه
يريدون الاقتراب منها . .

مـــــــــويمـة : ولدتُ فى لوشـه . . أليطار ، والقـائد ، وأبى تعـود أن يقـول لى ضـاحكا حينمـا كان يهز الرياحين : « لن تخرجى من هنا إلا لـكـى ينـــاديك بهـــو الأســـود : ياسلطانتى » . . .

أبو عـبـد الله : هذا ما حدث .

مـــــــــويمـة : بيـــد أنى لــم أســتطع أبدا العــودة إلى لوشـــه . . ولا إلى ألـــورا ، . . ولا إلى مــوقلين . . .

أبو عـبـد الله : ولا إلى جبل الثلج ، ولا إلى قلهمره . .

مـــــــــويمـة : ولا إلى سالارا ، ولا إلى بلش . . .

أبو عـبـد الله : حـينمـا ذاع فى بـلش نبـأ هزيمة الزغل ، قـادنى أهل غـرناطة منتصرا من البيـازين إلى الحـمـراء ، وعـادت غـرناطة لى مـرة أخرى .

مـــــــــويمـة : بيـــد أنك لـــم تسـتطع العـودة أبدا إلى

مـالـقـه يا أبـا عـبـد الـلـه ، العـودة أبـدا إلى
مالقة ، كل يوم يتضاءل عالمنا .

الشاعر الجوال : لقد صارت مالقة ضيقة جدا
في تصدع وانهيار
منهارة في كل جوانبها
دون أي دفاع
« يرجوك حامد الصغير
مع هذه الزمرة
أن تسلمي هذه المدينة
فليس لديها أي دفاع
تأملي كيف قتل المسيحي
هذا العدد من المحاربين
ألا ترين أن الباقين
يسلبهم الجوع والحياة
لقد خارت قوى غرناطة
ولم يعد ناسها كعادتهم
فروسية وكبرياء
لأن ملكهم قد قتل »

أبو عبد الله : أجل ، في القـريـب العـاجل ، مـهـاد

محدود من الأرض سيكفى . . .

الــــــــراوى : غزيت مالقة ، انشطرت المملكة النصرية
إلى ثلاث ممالك : يسيطر ملوك قشتالة
على جزئها الغربى من ألورا وموقلين حتي
بلش ، ويسيطر الزغل على ألمريه وبسطه
ووادى آشي والبشارات حتى المنقر :
وأبو عبد الله الملك الصغير يزهو بمدينة
غرناطة وغوطتها وجبلها ، ظلال ملك . .

أبو عبد الله : لقد استخدمنى الملوك الكاثوليك
لإضعاف العدو المشترك ، وفى
وسعهم الآن أن يشرعوا فى الحصاد .

الشاعر الجوال : على بسطة يشرف فرناندو
فى يوم الاثنين بعد الغداء
كان يتملى الحوانيت الفنية
التى فى مملكته
يتملى البساتين الفسيحة
يتملى الأرباض
يتملى المحجة العظمى
فى المدينة

يتملى الأبراج الكثيرة
التى تستعصى على الحصر
على بسطة يشرف فرناندو
وسيظل فى داخلها .

أبو عبد الله : (فى بطء) بورشـينا ، المرية ، وادى آشى سالوبريننا ، المنقر . . .

فرناندو : ها نحن ننتزع حبوب هذه الرمانة حبة حبة (وقفة) . .

أبو عبد الله : ها نحن وحيدان ، يا مريمة ، لقد انتهى والدى ، وانتهى الزغل ، وليس لمدينة غرناطة سوى ملك واحد .

أبو عبد الله : حقيقة نحن وحيدان يا أبا عبد الله ، نحن وحيدان ، لا أحد ، لاشىء .

الشاعر الجوال : (رسول مقاطعا) .
شئ جديد أجيئك به يا سيدى
سفارة سيئة جدا
من نهر شنيل البارد
يقدم أناس كثيرون مسلحون :
راياتهم منشورة

يسيرون على إيقاع الحرب :
وثمة راية ذهبية
بها صليب فضى
ويقسمون جميعا
على الصورة المرسومة
ألا يخرجوا من الغوطة
إلا إذا غنموا غرناطة
مـــــريمـة : أنشودة النصارى
تسمع من الحمراء
وصهيل خيولهم
يؤرق السلطانات . . .
الشاعر الجوال : يا إلهى كم تبدو جميلة
فى غوطة غرناطة
كل أسوار المبانى
كل القلاع المزخرفة
قبو دائرى
تحيط بك كلها وتستحم
لقد أنشأك الملك دون فرناندو
وعاونته الملكة إيزابل

وفرسان مسيحيون
قطعوا أشجار الغوطة
وفوق الجانب الأيسر
يضعون صلبانا قرمزية

إيـــزابـــل : لقد حدثتنى يا كولومبوس عن الهند الشرقية ، عن تيانجو ، عن قطاى ، حدثتنى عن الفراديس النائية جدا . . اصغ إلى : خلال ما يقرب من ثمانمئة سنة تنحدر قشتالة تجاه الجنوب بوصة بوصة مبهورة بالشمس وفتنتها ، بخضرة الخصوبة ، تضغط على أسنانها تغمض عيونها ، عانت ما يقرب من ثمانمئة سنة فى طريقها إلى هذا الفردوس القريب الذى سلبوه منها ، . . إنك تتحدث عن عوالم أخرى ، . . لا أدرى هل أنا ملكة حقا ، أم لست سوى ربة بيت تعرف حساباتها بالعد على الأصابع ، تنفق ما تستطيع ، وتراجع المواعيد ، وتهيئ الراحة لرجالها بعد العمل . . ؟ أصغ إلى

ياكولومبوس : قشتالة متطلعة لا يروقها
بيتها ، تريده فقط للعودة إليه أحيانا
لكى تستريح ولذا فهى فى حاجة إلي
من يرعاه لها إننى أنا التى أرعى
لقشتاله بيتها . . عبر ما يقرب من
ثمانمئة سنة ، حلمنا « بإسبانيا » لكى
تكون خريطتها التى تشبه إهاب الثور
كلها لنا ، فقط ينقصنا ثمرة صغيرة :
أحلى ثمرة ، ولعلها زهرة فحسب :
أجمل الزهرات و ها نحن نلمسها
بأصابعنا . . أنت تتحدث عن الهند
الشرقية ، عن معاهدات ، عن مال . .
ليس لدى ياكولومبوس . فى هذا الوقت .
فرحتى غامرة جدا أن أرى غرناطة أمامى ،
سأعطيك جواهرى لتشرع فى السفر ،
حتى جواهرى ليس عندى ، إنها مخزونة
فى بلنسية رهينة نظير ديون سالفة . .
ليس لدى شيء : سوى تلك الفرحة أن
أعرف أن أسلافى يهتزون طربا فى

قبورهم ؛ لأن الاسترداد طريق الصليب الطويل فى طريقه إلى التمام . . قشتالة مثل هاتيك اللبؤات العجائز التى تنام وبين مخالبها بذرة بخور ، تشمه ، تتسلى به عن الإزعاجات ، عن أيام مؤلمة .. انظر ياكولومبوس كيف تلمع بذرة البخور هذه !

الشاعر الجوال : ما هذه الحصون الباذخة المتلألئة .

ياسيدى ، إنها الحمراء
والآخر المسجد
والأخريات الدشارات
العجيبة الصنع
والأخرى جنة العريف
البستان العديم المثال
والأخرى القباب الحمراء
حصون عظيمة

فـرنـانـدو : إذا رغبت فى الزواج منى يا غرناطة
فإننى أمنحك قرطبة وأشبيلية
صداقا ، وحلوى

إيـــــزابـــــل : لا تحـدثـوا امـرأة جاءها المخاض عن شيء
آخـر : لا تمزجـوا رعـايتـهـا بشيء آخـر ،
قشتالة تتمخض ، ستأتى أزمنة أخرى ،
حين يهدأ بيتها من جديد ياكولومبوس
حينئذ نتحدث عن تيبانجو ، وقطاى ،
اليوم قطاى قشتالة قريبة جدا ، هنا
منشورة فى الشمس ، متكئة برأسها
الجميل على وسادة من جليد . . إيزابل
ربة بيت قشتالة تطلب منك الانتظار .

الشاعر الجوال : أنشودة النصارى
تسمع من الحمراء
وصهيل خيولهم
يؤرق السلطانات

مـــــــريمة : إنهم يقتربون . . ها هم يقتربون . . الألم
يطرق بيده الصخرية بوابة النبيذ .

أبو عبد الله : فى بوابة العدالة ، يد الألم تتدلى إلى
المفتاح . وتفتح قصورى شيئا فشيئا . .
مـاذا صنعنا ؟ « لا غـالب إلا الله ، لا
غـالب إلا الله » . هل كـان كـذبا مـا

حدثونا به ؟ كنا نحن أيضا نحلم : «بإسبانيا » خلال ثمانية قرون كنا نهتف أيضا باسم « إسبانيا » وكل يوم صوتنا ينخفض .. نجمة النصريين يأخذ وجهها فى الأفول ، شمس تشرع فى طمسك أيتها النجوم الشاردة التى تسطرين القدر الأسيف لمن ينهزم .

مريمة : إنهم يقتربون ، ها هم يقتربون ..

أبو عبد الله : أية ملكات أخريات تتكئ تماثيلها النصفية فى شرفة الواجهة ؟ أية أقدام أخرى ذوات أحذية من طرز متعددة تطأ هاتيك القاعات ؟ أية آذان هيئت فقط على طلقات البارود سوف تستمع إلى موسيقى الحب من نوافيرنا ؟ لأجل من سوف ينمو النسرين والآس ؟ الأقوياء ليسوا فى حاجة إلى كل هذه الرقائق . . سوف تدوسها سنابك خيولهم ، وسوف ينمو العوسج . .

مريمة : فوق قبة أبى الحسن سيضعون مئرز ملكة

اسمها صعب ،لن يكون اسمها عائشة ، ولا ثريا . . .

أبو عبد الله : فوق الشعار الوحيد لبنى الأحمر « لا غالب إلا الله » يكتبون شعارهم هم ، وينقشون الحرف الأول من اسم الملك والملكة الفاء والياء (فرناندو وإيزابل) . . وفوق ألوان زليجنا سيرسمون نيرهم وكنانة سهامهم . الأقوياء ليسوا فى حاجة إلى جماليات كثيرة حسبهم القوة .

مـــريمة : فى طاقات مباخرنا يصنعون محاريب قديسهم . .

أبو عبد الله : وفى قصر العدالة يشيدون مصلاهم . .

مـــريمة : لا غالب إلا الله .

أبو عبد الله : وفى أحواض الوضوء يضعون ماء التعميد .

مـــريمة : إنهم يقتربون ، هاهم يقتربون . . وفى الحمامات الساخنة حيث تسمع موسيقى المعازف الخفية ، وحيث تتكاسل الأجساد الرائعة الجمال ، وحيث البخار يعبث عبث المئزر الشفيف حيث تطل الشمس باسمة

دون أن تدخل . . في الحمامات الساخنة
يخزنون البارود والقمح .

أبو عبد الله : حيث كنا سعداء ، نغنى ، سيكونون هم أقوياء فقط .

مريمة : حيث كنا أقوياء ولطفاء ، سيضعون هم حجارتهم .

أبو عبد الله : وعلى الكتب التى فهمنا منها تاريخ البشر يضعون النفط عليها .

مريمة : وفى الأماكن التى أحببنا فيها الحياة ، سيمضون فيها للموت . .

أبو عبد الله : سيجلبون أزهاراً مختلفة ، لغة أخرى ، عيونا أخرى . .

مريمة : طريقة غريبة للحب ، ولكون المرأة محبوبة .

أبو عبد الله : وفى الأماكن التى يستريح فيها رفات أسلافنا . . .

مريمة : لا غالب إلا الله .

أبو عبد الله : ستنمو أعشاب مهجورة ، سيدنس نبات النار ، النصب المرمرية التى ما قَبّلها غير

الشمس والمطر ، ستنسى القاعة التى دفن فيها رفات الملوك .

مريمة : (بصوت خفيض) لا غالب إلا الله .

أبو عبد الله : فى أرضنا هذه ، المثمرة ، المزروعة ، السعيدة ، سيدفنون موتاهم . . . لقد تغير صاحب العالم إلى الأبد . .

مريمة : سيشهد المرمر الهرم – فى دهشة – مشاهد لم ترقط . .

أبو عبد الله : . . لكن لن يكون لنا نصيب منها .

مريمة : هنيئا للزليج ، وللخنزير بطائن السقوف الأشقر ؛ لأنها ستظل فى مكانها ، بينما نحن نضوى شوقا إليها .

أبو عبد الله : خدعنا الآس والعوسج ، خدعنى قلب غرناطة . .

إيزابل : سيغلق درع قشتاله بثكنة عظيمة ، بقلب غرناطه . .

أصوات : لقد سقطت غرناطة فى يد دون فرناندو ، ودونيا ايزابل ، لقد غدت غرناطة لقشتالة !!

إيـــزابـــل : غرناطة لنا ، أين كولومبوس ؟ لقد حان الوقت للحديث عن الهند الشرقية .

صـــوت : إنه مضى ياسيدتى ، فى طريقه إلى فرنسا ، ليعرض مشروعه على ملك الفرنسيين .

إيـــزابـــل : نادوه ، اذهبوا فى طلبه ، وائتوا به ، ستقوم قشتالة بتحقيق هذه الأحلام ، أمام عتبة الفردوس ، ستوقع قشتالة معاهداتها .

الشاعر الجوال : فى مدينة غرناطة

يصيحون صيحات هائلة
البعض ينادى محمدا
وآخرون ينادون بالتثليث
تدخل الصلبان من جانب
ويخرج القرآن من جانب آخر
حيث كانت تسمع سور قبل ذلك
يسمع صليل الأجراس
يسمع « الحمد لله فى الأعالى »
بعد إقامة الصلوات الخمس
الأبراج ليست على هيئة الهلال

ويشاهد تغيير فى القلاع
ملك يدخل سعيدا
وآخر يمضى باكيا

الشـاعـر الجـوال : آه أيتها البيازين الباذخة ، بيازينى
آه ، لقيساريتى
حمرائى ، دشاراتى
مسجدى الجامع
حماماتى ، بساتينى ، نهرى
حيث تعودت أن أستريح . . .
من الذى أبعدك عنى
حيث لن أراك أبدا ؟
حتى هذه اللحظة أراك
ومن بعيد يامدينتى
عاجلا لن أراك
لأننى سأقصى عنك
عجبا ياعجلة الحظ
مجنون من يثق فيك
بالأمس كنت ملكا مشهورا
واليوم ليس فى يدى شىء

عائشة : ابك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال
الشاعر الجوال : برانس ، لا عمائم
لن يقبل المسلمون بمسلمين آخرين
برانس ، لا عمائم
حمراء ، بنفسجية ، أو خضراء
لا مرط ، لا عباءة
لا مآزر ، لا أكسية
لا تقام مبارزات
ولا تخضب السواعد الفتية بالحناء
لا يسعون إلى سيداتهم
في الحضور والغياب
ولا غيرة ملحة
ولا عطايا حب
برانس ، لا عمائم
حمراء ، بنفسجية ،أو خضراء
فالجميع يلبس السواد
يلبسون ثيابا برتغالية
يرون أن القدرة الإلهية
هم عنها مبعدون . .

أبو عبد الله : كل شيء يصل إلى ذروته العليا ، يبدأ في الانحدار ، لا تتخلوا عن سحر الحياة ، وحب الحياة .

أين الملوك ذوو التيجان من يمن   وأين منهم أكاليل وتيجان
وصار ما صار من ملك ومن ملك   كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله   وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب   يوما ، ولا ملك الدنيا سليمان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له   هوى له أحد ، وانهد ثهلان
فاسأل بلنسية ماشأن مرسية   وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم   من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص ، وما تحويه من نزه   ونهرها العذب فياض وملآن

حتى غرناطة التى بقيت لؤلؤة فى جبين الإسلام ، حيث يعبد الله . .

لا غالب إلا الله . فإنكم ترونها الآن . .

هل ثمة وطن لإنسان يفقد غرناطة . . البكاء البكاء .

لأن أى شيء إذا هوى ، فإنما يهوى إلى مكان سحيق .

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	ت . أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت . أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت . شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت . سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت . هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت . أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت . عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	ت أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت . لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت . طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت . يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت . ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت . سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت . بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت . أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت . د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت . محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت · أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت . أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت · محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت محسن مصيلحى
ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت · محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت · السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت . صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت · مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت · رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت · أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت فؤاد مجلى

(تحت الطبع)

تاريخ النقد الأدبى الحديث (٣)
المختار من نقد ت . س . إليوت
منصور الحلاج
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى
الجماعات المتخيلة
ثلاث دراسات فى الشعر الأندلسى
شعرية التأليف
نقد استجابة القارئ
مختارات غو تفريد بن
مساءلة العولمة
النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
التحليل النفسى للأدب
تاريخ السينما العالمية
صلاح الدين والمماليك فى مصر
مسرح ميجيل دى أونامونو
مختارات من المسرح الإسبانى
صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر
الابتلاء بالتغرب
طول الليل
نون والقلم
فن التراجم والسير الذاتية
الحب الأول
أوبرا ماهوجونى
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
حروب المياه
ثلاث زنبقات ووردة
الأدب الأندلسى
الأدب المقارن
راية التمرد

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١١٩٨٢ / ١٩٩٨

PAISA JES Y FIGURAS

ستظل الأندلس مسرحية مأساوية، تثير قرائح الشعراء والكتاب من عرب وإسبان، ومن أمم أخرى، يلتقطون منها الأحداث الانفجارية - وما أكثر هذه الأحداث - فينسجون منها قصيداً، ومسرحاً، وقصة، ولوحة، وتمثالاً، إلى غير ذلك من صنوف الفن وطرائقه.

وانطونيوجالا - كاتب هذه المسرحيات - شاعر وكاتب مسرحي من قرطبة، عاصمة الخلافة، قبل أن يكون من إسبانيا؛ إذ إنه - في كل كتاباته تقريباً - يتنفس عبق التاريخ الأندلسي، ولا تكاد تحس لديه ما يسمم هذا العبق من تعصب وهوى ذميم، وإن عابه بعض المتنطسين أنه يختار بعض اللحظات الحرجة التي تضم ما هو عربي، ولا تثريب عليه في ذلك الاختيار؛ لأنه اختيار فني لا سياسي ولا عرقي، فهو رجل يناصر قضية «الحرية» في مسرحه، كأنه يدافع عن نفسه، وعن قيمة الفكر، والإنسان المفكر ضد الديماجوجية والسلطة المطلقة، والهوج الذميم، وضيق الأفق باسم الدين، وباسم السلطة، وباسم أي شيء كان.